المُوجَز

في الدعوة إلى الله

وفق الكتاب والسُنّة
بفهم سلف الأمة

(متوافق في موضوعاته مع مقرر أصول الدعوة
في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة)

إعـــداد

أ.د. حامد بن معاوض الحجيلي

الأستاذ بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية
في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

دار منار التوحيد للنشر

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مُقَدِّمَة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٧٠-٧١].

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، **أما بعد**[1].

إن الدعوة إلى الله تعالى من أعظم العبادات وأجلها، وهي وظيفة الأنبياء والمرسلين، قال تعالى: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي

(١) هذه الخطبة معروفة بخطبة الحاجة، وقد كان النبي ﷺ يفتتح بها خطبته، أخرجها أبو داود، برقم (٢١١٨)، والترمذي، برقم (١١٠٥)، وصحّحها الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود، برقم (٢١١٨)، وفي صحيح سنن الترمذي، برقم (١١٠٥)، وله فيها جزء مفرد سمّاه: (خطبة الحاجة التي كان رسول الله ﷺ يعلّمها أصحابه).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تعريف الدعوة

أولًا: تعريف الدعوة في اللغة:

قال ابن فارس: الدال والعين والحرف المعتل (دعو) أصل واحد، وهو: أن تميل الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك، يدل عليه قوله تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ﴾ [الأعراف:١٩٣] فذكر الدعوة مقابل الصمت.

ومن معانيها: النداء، والطلب، والحث، والحظ، والاستمالة.

والدعاة: قوم يدعون إلى هدى أو ضلالة، واحدهم داعٍ، قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [البقرة:٢٢١] وفي الحديث الصحيح عن حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله ﷺ: «...**دُعَاةٌ إِلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا**» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهَّ، صِفْهُمْ لَنَا؟ فَقَالَ: «**هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا**[1]»[2].

ثانيًا: تعريف الدعوة إلى الله في الاصطلاح:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الدعوة إلى الله هي الدعوة إلى الإيمان

---

(١) أخرجه البخاري، برقم (٣٦٠٦) واللفظ له، ومسلم، برقم (١٨٤٧).

(٢) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (ص:٢٣٧)، ولسان العرب، لابن منظور (١٤/ ٢٦٠)، والقاموس المحيط، للفيروز آبادي (٤/ ٣٢٧).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

به وبما جاءت به رسله -عليهم الصلاة والسلام- بتصديقهم فيما أخبروا به وطاعتهم فيما أمروا؛ وذلك يتضمن الدعوة إلى الشهادتين، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت والدعوة إلى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خيره وشرّه، والدعوة إلى أن يعبد العبد ربه كأنه يراه»(١).

وقال الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الدعوة: هي الدعاء إلى الله، أي الدعاء إلى الإيمان به وتوحيده والعمل بما شرعه لعباده»(٢).

ويمكن أن نعرف الدعوة إلى الله بأنها:

إيصال دين الإسلام للناس وفق المنهج الحق.

وهذا التعريف تضمن أسسًا مهمة في الدعوة إلى الله، وهي:

١- **(إيصال)**: فالدعوة إلى الله تقتضي إيصالها للناس، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [القصص:٥١] وهذا يتطلب الجهد والعمل الكثير من قبل الداعية إلى الله.

٢- **(دين الإسلام)**: أي أن موضوع الدعوة إلى الله هو ما اشتمل عليه دين الإسلام من عقيدة وعبادة وأخلاق ومعاملات وغيرها، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران:١٩].

٣- **(للناس)**: فالدعوة إلى الله تتوجه إلى المدعوين كافة على اختلاف أصنافهم. كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (١٥/ ١٥٧).

(٢) فتح القدير، للشوكاني (٣/ ٥٩).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [سبأ:٢٨].

٤- **(وفق المنهج الحق)**: فالدعوة إلى الله هي التي تكون وفق سبيل القرآن والسُنّة بفهم سلف الأمة، كما قال تعالى: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ [يوسف:١٠٨] سواءٌ أكان ذلك في الموضوعات أو صفات الداعية أو كيفية التعامل مع المدعوين أو استخدام الوسائل والأساليب المناسبة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فضل الدعوة وعلو منزلتها

إن الدعوة إلى الله تعالى على بصيرة من أفضل الأعمال وأقرب القربات وأجل الطاعات، توافرت على ذلك أدلة الكتاب والسُنّة وما كان عليه سلف هذه الأمة، ومن تلك الأدلة ما يأتي:

أولًا: أن الدعوة إلى الله تعالى هي وظيفة الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل:٣٦]، وقال تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء:١٦٥].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالدعوة إلى الله هي وظيفة المرسلين وأتباعهم»(١).

وقال الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالرسل عليهم الصلاة والسلام هم هداة الخلق، وهم أئمة الهدى، ودعاة الثقلين جميعًا إلى طاعة الله وعبادته، فالله سبحانه أكرم العباد بهم، ورحمهم بإرسالهم إليهم، وأوضح على أيديهم الطريق السوي والصراط المستقيم؛ حتى يكون الناس على بينة من أمرهم»(٢).

ثانيًا: أن الدعوة إلى الله تعالى هي مهمة خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ ويدل على

---

(١) جلاء الأفهام (ص:٤١٥).

(٢) مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٤) (ص:٧).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [سبأ:٢٨] وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴾ [الأحزاب:٤٥-٤٦].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وداعيًا إلى الله بإذنه أي داعيًا للخلق إلى عبادة ربهم عن أمره لك بذلك»(١).

وقال ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «بإذنه يفيد أن الله أرسله داعيًا ويسر إليه الدعاء مع ثقل أمر هذا الدعاء وعظيم خطره»(٢).

وقال تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾ [النحل:١٢٥]، وقال تعالى: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ﴾ [الشورى:١٥]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [المؤمنون:٧٣].

ثالثًا: أن الدعوة إلى الله تعالى شعار أتباع النبي ﷺ كما قال تعالى: ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ [يوسف:١٠٨].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يقول تعالى لرسوله ﷺ إلى الثقلين الإنس والجن، آمرًا له أن يخبر الناس أن هذه سبيله، أي: طريقته ومسلكه وسنته، وهي الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يدعو إلى الله بها على بصيرة من

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٤٧).

(٢) التحرير والتنوير (٢٢/ ٥٤).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ذلك ويقين وبرهان، هو وكل من اتبعه يدعو إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ على بصيرة ويقين وبرهان عقلي وشرعي»(١).

ويقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا يكون من أتباعه حقًّا إلا من دعا إلى الله على بصيرة كما كان متبوعه ﷺ يفعل، فهؤلاء خلفاء الرسل حقًّا، وورثتهم دون الناس، وهم أولو العلم الذين قاموا بما جاء به علمًا وعملًا وهداية وإرشادًا وصبرًا وجهادًا»(٢).

رابعًا: أن الدعوة إلى الله تعالى من صفات أحسن الناس قولًا، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت:٣٣]، والاستفهام الوارد بمعنى النفي، ومعناها: لا أحد أحسن قولًا مما استجمع تلك الصفات من الدعوة إلى الله تعالى والعمل الصالح والإعلان بكونه من المسلمين اعتزازًا.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن الذين يدعون إلى الله: «وهؤلاء خواص خلق الله وأفضلهم عند الله منزلة وأعلاهم قدرًا»(٣).

خامسًا: أن القيام بالدعوة إلى الله من أسباب وصف الأمة بالخير، كما قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران:١١٠].

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٢/ ٥٤٣).

(٢) مفتاح دار السعادة، لابن القيم (١/ ٧٨).

(٣) مفتاح دار السعادة، لابن القيم (١/ ١٥٣).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

سادسًا: أن الدعوة إلى الله تعالى تؤدي إلى الفوز بالفلاح، كما قال تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [سورة العصر: ١-٣]، وقال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

والمراد بالمفلحين كما قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «الذين أدركوا ما طلبوا فنجوا من شر ما منه هربوا»(١).

سابعًا: دعاء النبي الكريم ﷺ بالنضارة لمبلغ أمانته، فقد روى ابن ماجه عن جُبير بن مُطعِم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قام رسول الله ﷺ بالخيف منى فقال: «**نَضَّرَ اللهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَبَلَّغَهَا، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ غَيْرِ فَقِيهٍ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ**»(٢).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن النبي ﷺ دعا لمن سمع كلامه ووعاه وحفظه وبلغه، وهذه هي مراتب العلم: **أولها وثانيها**: سماعه وعقله، **المرتبة الثالثة**: تعاهده وحفظه حتى لا ينساه فيذهب، **المرتبة الرابعة**: تبليغه وبثه في الأمة ليحصل به ثمرته ومقصوده وهو بثه في الأمة، فهو بمنزلة الكنز المدفون في الأرض الذي لا ينفق منه، وهو معرض لذهابه، فإن العلم ما لم ينفق منه ويعلم فإنه يوشك أن يذهب، فإذا أنفق منه نما وزكا على الإنفاق. فمن قام بهذه المراتب الأربع دخل تحت هذه الدعوة

---

(١) تفسير الطبري (١/ ٢٥٠).

(٢) ابن ماجه، برقم (٢٤٤)، وصححه الشيخ الألباني في صحيح ابن ماجه (١/ ٤٥).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

النبوية المتضمنة لجمال الظاهر والباطن، فإن النضرة هي البهجة والحسن الذي يكساه الوجه من آثار الإيمان وابتهاج الباطن، وفرح القلب وسروره والتذاذه به، فتظهر هذه البهجة والسرور والفرحة نضارة كما في قوله تعالى: ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ [الإنسان:١١]، فالنضرة في وجوههم والسرور في قلوبهم. فالنعيم وطيب القلب يظهر نضارة في الوجه كما قال تعالى: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ﴾ [سورة المطففين:٢٤]، والمقصود أن هذه النضرة في وجه من سمع سُنّة رسول الله ﷺ ووعاها وحفظها وبلغها، فهي أثر تلك الحلاوة والبهجة والسرور الذي في قلبه وباطنه»(١).

ثامنًا: عظم أجر الداعية إلى الله إذا اهتدى على يده ولو رجلًا واحدًا: فعن سهل بن سعد الساعدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما أعطى النبيّ ﷺ الراية إلى علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يوم خيبر، قال له: «**انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلاَمِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللَّهِ فِيهِ، فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا، خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ**»(٢).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا**»(٣).

---

(١) مفتاح دار السعادة، لابن القيم (١/ ٧١).

(٢) البخاري، برقم (٤٢١٠)، ومسلم، برقم (٢٤٠٦).

(٣) مسلم، برقم (٢٦٧٤).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تاسعًا: استمرار ثواب الداعية بعد موته كما قال تعالى: ﴿يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [القيامة:١٣].

قال البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره: «قال ابن مسعود وابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: بما قدم قبل موته من عمل صالح وسيء وما أخر بعد موته من سُنّة حسنة أو سيئة يعمل بها»(١).

وقال تعالى: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ [الانفطار:٥]، قال ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في تفسيره لهذه الآية «ما قدمت وما أخرت من سُنّة استن بها بعده فله مثل أجر من تبعه أو سيئة فعليه مثل وزر من عمل بها»(٢).

عاشرًا: أن المولى عَزَّوَجَلَّ جعل الخروج للتفقه في دين الله والقيام بالإنذار بعده، قسيمًا للخروج إلى الجهاد في سبيل الله تعالى، ومما يدل على ذلك قول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة:١٢٢].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ندب الله المؤمنين إلى التفقه في الدين وهو تعلمه وأنذر قومهم إذا رجعوا إليهم وهو التعليم»(٣).

---

(١) تفسير البغوي (٤/ ٤٢٢).

(٢) شرح السنة، كتاب العلم (١/ ٢٣).

(٣) مفتاح دار السعادة، لابن القيم (١/ ٥٦).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

حكم القيام بالدعوة إلى الله تعالى

يتبين حكم القيام بالدعوة إلى الله تعالى من خلال التفصيل التالي:

أولًا: اتفق العلماء أن حكم الدعوة إلى الله تعالى -من حيث الجملة- هو الوجوب، وأنها فريضة دينية عظيمة، ينبغي على الأمة الإسلامية الاهتمام بها، قال أبو بكر الجصاص رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معرض حديثه عن الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: «أجمع السلف وفقهاء الأمصار على الوجوب»[1].

وذكر نحوه الإمام القرطبي في الجامع لأحكام القرآن، والإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم.

ثانيًا: اختلفوا في نوعية هذا الوجوب هل هو واجب كفائي، إذا قام به من يكفي سقط الإثم عن الباقين؟ أم أنه واجب عيني على كل مسلم بعينه، يأثم بتركه على قولين:

القول الأول: قول جمهور أهل العلم من الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم من الأئمة الأربعة والطبري وابن تيمية وابن القيم وابن كثير والشوكاني والصنعاني وابن سعدي وابن باز والعثيمين أن الدعوة إلى الله تعالى واجبة وجوبًا كفائيًا.

---

(١) أحكام القرآن، لأبي بكر الجصاص (٢/ ٤٨٦).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقد استدلوا على ذلك بأدلة عديدة منها ما يأتي:

١- قول الله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

وجه الدلالة من الآية: أن (من) في قوله: ولتكن منكم تبعيضية، والمعنى -كما قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولتكن منكم أيها المؤمنون جماعة يدعون الناس إلى الخير، يعني: الإسلام وشرائعه التي شرعها الله لعباده»(١).

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «المقصود من هذه الآية أن تكون فرقة من هذه الأمة متصديةً لهذا الشأن -وإن كان ذلك واجبًا على كل فرد من الأمة بحسبه- كما ثبت في صحيح مسلم عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ: «**مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ**(٢)»»(٣).

٢- قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤١].

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «يدل على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض على الكفاية، وقد عينهم الله تعالى بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ وليس كل الناس مكنوا»(٤).

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري (٤/ ٢٦).

(٢) مسلم، برقم (٧٨).

(٣) تفسير ابن كثير (١/ ٤١٩).

(٤) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٤/ ١٦٥).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ويقول ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ويدخل في هذه الطائفة: أهل العلم والتعليم، والمتصدون للخطابة ووعظ الناس عمومًا وخصوصًا، والمحتسبون الذين يقومون بإلزام الناس بإقامة الصلوات وإيتاء الزكاة والقيام بشرائع الدين وينهون عن المنكرات، فكل من دعا الناس إلى خير على وجه العموم أو على وجه الخصوص، أو قام بنصيحة عامة أو خاصة فإنه داخل في هذه الآية الكريمة»(١).

٣- قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة:١٢٢].

وجه الدلالة من الآية: أن الله أمر أن يتخصص فريق للنفير في سبيل الله والجهاد الشرعي، كما يتخصص فريق آخر للدعوة إلى الله بعد التفقه في الدين، وليست الأمة كلها قد تفقهت في دين الله، فلو كانت الدعوة واجبة وجوبًا عينيًا لما كان لهذا التخصيص معنى.

يقول الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد ذكره للآية السابقة: «فورد التخصيص على طائفة لا على الجميع»(٢).

ويقول البيضاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره للآية: «فيه دليل على أن التفقه والتذكير من فروض الكفاية»(٣).

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لابن سعدي (ص:٥٤٠).

(٢) الموافقات في أصول الشريعة، للشاطبي (١/ ١٧٦).

(٣) تفسير البيضاوي (١/ ١٧٤).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

القول الثاني: قول عامة الظاهرية والزجاج وابن النحاس أن الدعوة إلى الله تعالى واجبة وجوبًا عينيًا على كل مسلم.

واستدلوا على ذلك بأدلة منها ما يأتي:

١- قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران:١٠٤].

ووجه الاستدلال: أن (من) في قوله: ﴿مِّنكُمْ﴾ بيانية لبيان الجنس وليست تبعيضية، كما في قوله تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ [الحج:٣٠]، وقوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح:٢٩].

١-قول النبي ﷺ: «**مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ**»(١)، فقوله: «**مَنْ رَأَى مِنْكُمْ**» خطاب لجميع الأمة، و(مَنْ) من ألفاظ العموم، فيشمل كل فرد من أفرادها(٢).

القول الراجح:

هو قول الجمهور (القول الأول) وذلك لما يأتي:

أولًا: قوة الأدلة التي استدلوا بها وقد سبق بيانها.

ثانيًا: يمكن أن يناقش استدلال أصحاب القول الثاني بالآية: بأنه لو سلم

(١) تقدم تخريجه (ص:١٠).

(٢) انظر: معاني القرآن، للزجاج (١/ ٤٦٢).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الجمهور بأن (مِنْ) للتبيين وليست للتبعيض، فإن المعنى -كما ذكرتم-: ولتكونوا أمة دعاة إلى الخير آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر، وهذا لا يقتضي كونه فرض عين، بل هو مؤكِّد لما ذكره الجمهور من أنه فرض كفاية يجب ابتداءً على جميع الأمة، ولكنه إذا قام به من يكفي سقط الإثم عن الباقين، لحصول المصلحة التي قصدها الشارع بفعلهم.

ولهذا قال العلماء: لا فرق بين فرض العين وفرض الكفاية في الابتداء -أي: من جهة وجوبها على جميع المكلفين-، وإنما يفترقان في ثاني الحال-أي: من جهة الإسقاط-، فإن فرض الكفاية إذا قام به من يكفي سقط الإثم عن الباقين، بخلاف فرض العين، فلا يسقط بفعل البعض، بل لابُدّ أن يقوم به كل مكلف بعينه(١).

فالآية دليل على أن الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية، سواء كانت (مِنْ) للتبعيض أو للتبيين. قال أبو السعود رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولا يقتضي ذلك -أي: جعل (مِنْ) للتبيين- كون الدعوة فرض عين، فإن الجهاد من فروض الكفاية مع ثبوته بالخطابات العامة، كما قال تعالى: ﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ [التوبة:٤١]، وقوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[التوبة:٣٩]، فالأمر عام، ثم إذا قامت به طائفة وقعت الكفاية وزال التكليف عن الباقين، وهذا هو فرض الكفاية»(٢).

وأما الحديث فإنه يجاب عنه بأن المراد بـ(منكم) أي: معشر المكلفين القادرين

---

(١) انظر: شرح الكوكب المنير، لابن النجار (١/ ٣٧٧).

(٢) تفسير أبي السعود (٢/ ٦٧)، وانظر نحوه في تفسير الألوسي (٤/ ٢٢).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المسلمين، فهو خطاب لجميع الأمة: حاضرها بالمشافهة، وغائبها بطريق التبع، (منكرًا فليغيره) وجوبًا بالشرع على الكفاية إن علم بذلك أكثر من واحد، وإلا فهو فرض عين(١).

ثالثًا: أن عامة الناس غير المؤهلين تأهيلًا شرعيًا لا يجوز لهم أن يتصدوا للدعوة وينتصبوا إليها؛ لئلا يحرفوا دين الله فيَضلون ويُضلون، وأما ما كان معلومًا من الدين بالضرورة كوجوب الصلاة وغيرها فإنه يدعو له ولا يتعدّى حدود علمه، وقد قرر هذا سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله: «فالواجب على الداعية إلى الله عَزَّوَجَلَّ أن يكون ذا بصيرة، أي: ذا علم، والدعوة على جهل لا تجوز أبدًا؛ لأن الداعية إلى الله على جهل يضر ولا ينفع، ويُخرب ولا يُعمِّر، ويضل ولا يهدي، فالواجب على الدعاة إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ التأسي بالرسل بالصبر والعلم والنشاط في الدعوة، كما قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف:١٠٨]»(٢).

رابعًا: أن هناك عدة أحوالٍ وظروفٍ يكون حكم الدعوة إلى الله فيها الوجوب العيني، يقول سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وبهذا يعلم أن كونها فرض عين، وكونها فرض كفاية، أمر نسبي، يختلف، فقد تكون الدعوة فرض عين بالنسبة إلى أقوام، وإلى أشخاص، وسنة بالنسبة إلى أشخاص، وإلى أقوام؛ لأنه وجد في محلهم وفي مكانهم من قام بالأمر وكفى عنهم»(٣).

---

(١) انظر: دليل الفالحين، لابن علان (١/ ٤٦٤).

(٢) مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٤٢)، (ص:٩).

(٣) المرجع السابق، العدد (٤)، (ص:١٣).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ومن تلك الأحوال ما يأتي:

١- أن الدعوة إلى الله واجبة في حق الدعاة الذين انتصبوا لهذا الأمر.

٢- أن يُعيّن من قبل ولي الأمر.

٣- التفرُّد بالعلم الموجب للدعوة، كمن كان أعلم أهل قريته أو مدينته، أو تفرد بالعلم والتحقق من أن معروفًا قد ترك أو منكرًا قد عمل، وكان قادرًا على الأمر والنهي، يقول النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية، ثم إنه قد يتعين إذا كان في موضع لا يعلم به إلا هو»(١).

ويقول سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإذا كنت في مكان ليس فيه من يقوى على هذا الأمر ويبلغ أمر الله سواك، فالواجب عليك أنت أن تقوم بذلك»(٢).

٤- إذا كان في موضع قلَّ فيه الدعاة وكثرت فيه المنكرات وغلب فيه الجهل وهو أهل للدعوة إلى الله.

(١) شرح صحيح مسلم، للنووي (٢/ ٣٢).
(٢) المرجع السابق (ص:١٢).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مصادر الدعوة إلى الله

(١) القرآن الكريم.

(٢) السُنّة.

(٣) الإجماع.

(٤) القياس الصحيح.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أركان الدعوة

الركن الأول: الداعية.

الركن الثاني: موضوع الدعوة.

الركن الثالث: المدعو.

الركن الرابع: وسيلة الدعوة.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الركن الأول: الداعية إلى الله تعالى

تعريف الداعية إلى الله:

هو من يقوم بإيصال دين الإسلام للناس وفق المنهج الحق.

أبرز مقومات الداعية إلى الله:

أولًا: الإخلاص:

الإخلاص في اللغة: مأخوذ من مادة (خلص) التي تدل على تنقية الشيء وتهذيبه، يقال: عسل خالص، أي: صافيًا نقيًا من الشوائب المكدرة(١).

والإخلاص اصطلاحًا: قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تعريفه للإخلاص: «هو إفراد الحق سبحانه بالقصد في الطاعة»(٢).

الأدلة على عظم شأن الإخلاص:

١- **الأمر بلزوم خُلُق الإخلاص**، ومن ذلك: قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة:٥].

٢- **تنويهه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بأهل هذا الخُلق، ومن ذلك قوله سبحانه:** ﴿كَذَٰلِكَ

---

(١) لسان العرب، لابن منظور (٧/ ٢٦)، والقاموس المحيط، للفيروز آبادي (٢/ ٣٠١) ومعجم مقاييس اللغة، لابن فارس (ص:٣٠٩).

(٢) مدارج السالكين، لابن القيم (٢/ ٩١).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف:٣٤]، فقرأ ابن كثير وأبو عمر وغيرهم بكسر اللام أي: إنه من عبادنا الذين أخلصوا دينهم.

٣- بيان النبي ﷺ لأهمية خُلُق الإخلاص، ومن ذلك ما جاء عن عمر ابن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا، أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»**(١).

وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: **«ثَلَاثٌ لَا يُغِلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ مُسْلِمٍ: إِخْلَاصُ العَمَلِ للهِ، وَمُنَاصَحَةُ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَمُلَازَمَةُ جَمَاعَتِهِمْ، فَإِنَّ دَعْوَتَهُمْ تُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ»**(٢).

أهمية الإخلاص للداعية إلى الله:

١- بما أن الدعوة إلى الله سبحانه من أعظم العبادات وأجلها فإنها مفتقرة لشرطي قبول العمل الصالح وهما الإخلاص والمتابعة كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك:٢] قال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: «هو أخلصه وأصوبه»(٣).

٢- أن الإخلاص يُعظّم عمل الداعية إلى الله، فيزن عند الله ميزانًا عظيمًا،

(١) البخاري، برقم (١)، ومسلم، برقم (١٩٠٧).

(٢) الترمذي، برقم (٢٦٥٨)، وابن ماجه، برقم (٢٣٢)، وأحمد (١/ ٤٣٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم (٦٧٦٦).

(٣) مدارج السالكين، لابن القيم (٢/ ٨٩).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والرياء يحقره ويرديه ويحبطه، فلا يزن عند الله هباء.

٣- أن الإخلاص يمنع الداعية إلى الله من الشعور بالعُجْب في دعوته.

٤- ينقي الإخلاص قلب الداعية من الحقد والغل والخيانة؛ لأنه إذا حل الإخلاص في قلب المرء هذبه ونظفه من الآفات والأدغال، وصانه من سيء الخلال.

أبرز الدعائم التي تحقق للداعية إلى الله الاتصاف بخلق الإخلاص:

١- أن يبتغي الداعية إلى الله من دعوته رضا الله عَزَّوَجَلَّ وإظهار دينه، لا مدح الناس وثنائهم عليه.

٢- أن يحذر الداعية إلى الله من العوارض والآفات والعوائق التي تعترض عمله وقد تفسده وتحرمه الإخلاص وتثبطه عن دعوته، وهي:

أ- رؤيته عمله وملاحظته إياه.

ب- طلب العوض عليه.

جـ- رضاه به وسكونه إليه.

٣- أن يَحذر الداعية إلى الله من خطر الرياء ويُحذّر الناس منه؛ ولهذا خاف الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ الذين هم من أحرص الناس على نقاء أعمالهم من أدنى شائبة؛ إذ قال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لحذيفة اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «نشدتك بالله! هل سماني لك رسول الله ﷺ منهم -يعني: من المنافقين؟- قال: لا، ولا أزكي بعدك أحدًا»[1].

٤- أن يُكثر الداعية إلى الله من دعاء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يرزقه الإخلاص في

(١) البداية والنهاية، لابن كثير (٥/ ١٩).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

دعوته ويقيه الرياء وحظوظ النفس، وقد أمرنا رسول الله ﷺ بذلك فقال: «أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا هَذَا الشِّرْكَ؛ فَإِنَّهُ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ» فقال بعض الصحابة: كيف نتقيه وهو أخفى من دبيب النمل يا رسول الله؟ قال: «قُولُوا: اللهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ نُشْرِكَ بِكَ شَيْئًا نَعْلَمُهُ، وَنَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا نَعْلَمُه»(١).

ثانيًا: العلم الصحيح:

العلم في اللغة: مأخوذ من مادة (علم) التي تدل على أثر بالشيء يتميز به عن غيره، والعلم نقيض الجهل، وعلمت الشيء أعْلمه علمًا: عرفته(٢).

العلم اصطلاحًا: «هو إدراك الشيء على ما هو عليه إدراكًا جازمًا»(٣).

والعلم إذا أُطلق فإنه يراد به العلم الشرعي، وإن أُريد به غير العلم الشرعي فإنه يقيد، كما نص عليه أهل العلم، قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والمراد بالعلم الشرعي: الذي يفيد معرفة ما يجب على المكلف من أمر دينه في عبادته ومعاملاته، والعلم بالله وصفاته، وما يجب له من القيام بأمره، وتنزيهه عن النقائص، ومدار ذلك علم التفسير والحديث والفقه»(٤).

الأدلة على فضل العلم وعلو منزلته:

١- أن الله عَزَّوَجَلَّ استشهد أهل العلم على أجل مشهود وهو وحدانيته، قال

---

(١) مسند أحمد (٢/ ٤٠٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣/ ٢٣٣) برقم (٣٧٣٠).
(٢) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (ص:٦٦٣)، ولسان العرب، لابن منظور (٥/ ٣٠٨٣).
(٣) كتاب العلم، لابن عثيمين (ص:١١).
(٤) فتح الباري، لابن حجر (١/ ١٤١).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران:١٨].

٢- أن أهل العلم هم الذين يخشونه سبحانه على الحقيقة والكمال، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر:٢٨].

٣- قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر:٩].

٤- عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، وَالْحِيتَانُ فِي جَوْفِ الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ، كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا، وَلَا دِرْهَمًا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ»[(١)].

أهمية العلم للداعية إلى الله:

١- بالعلم يكون الداعية إلى الله على بينة في دعوته ويدعو إلى الله على بصيرة.

٢- أن العلم أفضل شيء وأشرفه للداعية إلى الله إذا أصلح الله نيته؛ إذ يتوصل به إلى معرفة أفضل واجب وأعظمه وهو توحيد الله جَلَّ جَلَالُهُ.

٣- أن العلم من أعظم القربات التي يتقرب بها الداعية إلى ربه.

---

(١) أبو داود، برقم (٣٦٤١) والترمذي، برقم (٢٦٨٢)، وابن ماجه برقم (٢٢٣)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود برقم (٣٦٤١).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٤- بالعلم يكشف الداعية إلى الله الأفكار الهدامة والدعوات المضللة والأنشطة المنحرفة.

٥- أن العلم هو الذي يمكن الداعية من حلّ ما قد يعرض له من مشكلات.

أبرز الدعائم التي تحقق للداعية إلى الله الاتصاف بالعلم وتحويله إلى واقع ملموس في دعوته:

١- أن يحرص الداعية إلى الله بأن يجعل كبير عنايته ومزيد اهتمامه بتعلم عقيدة التوحيد وتعليمها للناس، وأن أي دعوة لا تهتم ولا ترتكز على عقيدة التوحيد فهي دعوة بدعة وضلالة وإن كثر أتباعها.

٢- أن يحذر الداعية إلى الله من طلب الرياء والسمعة أثناء تعلمه أو تعليمه.

٣- على الداعية إلى الله أن يحذر من الكلام في مسألة بلا علم.

٤- أن يهتم الداعية إلى الله بجميع الطرق الموصلة إلى العلم الصحيح تعلما وتعليمًا.

٥- أن يدرك الداعية إلى الله أن العلم ثقيل ويحتاج إلى جد ومصابرة.

٦- أن يهتم الداعية إلى الله بمعرفة أهم الكتب الموثوقة ويستفيد منها، ويوصي غيره بالاهتمام بها، ويحذر من الكتب الفكرية الهدامة ويحذر منها.

٧- أن يدرك الداعية إلى الله أن العلم ليس بتزويق الألفاظ ورصف الجمل، وإنما يكون بأسهل العبارات التي يفهمها المدعوون دون تعقيد، وبأنسب الأساليب

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

التي يستوعبونها دون تكلف.

ثالثًا: الصبر:

الصبر في اللغة: مأخوذ من مادة (صبر) التي تدل على معان ثلاثة: الحبس والمنع، وأعالي الشيء، وجنس من الحجارة، والمراد هنا المعنى الأول؛ وهو الحبس، يقال: «صبرت نفسي على ذلك الأمر» أي: حبستها(١).

الصبر اصطلاحًا: قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تعريفه: «حبس النفس عن الجزع والتسخط، وحبس اللسان عن الشكوى، وحبس الجوارح عن التشويش»(٢).

الأدلة على فضل الصبر:

١- أن الله عَزَّوَجَلَّ قرن الصبر بأركان الإسلام ومقامات الإيمان، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾[البقرة:١٥٣]، وقوله سبحانه: ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾[العصر:٣].

٢- أن الله عَزَّوَجَلَّ أطلق البشرى للصابرين بأن جمع لهم ثلاثة أمور لم يجمعها لغيرهم، وهي: الصلاة منه عليهم، ورحمته لهم، وهدايته إياهم؛ وذلك في قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾[البقرة:١٥٥-١٥٧].

---

(١) لسان العرب، لابن منظور (٤/ ٢٤٣٨)، ومعجم مقاييس اللغة، لابن فارس (ص:٥٦٤)، والصحاح، للجوهري (ص:٦٠٥).

(٢) عدة الصابرين، لابن القيم (ص:١٩).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٣- قال النبي ﷺ: «وَمَنْ يَصْبِرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ مِنْ عَطَاءٍ خَيْرٌ وَأَوْسَعُ مِنَ الصَّبْرِ»(١).

٤- قال النبي ﷺ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»(٢).

أهمية الصبر للداعية إلى الله:

١- أنه لا سبيل لنجاح الداعية إلى الله في دعوته إلا بالصبر والاحتساب.

٢- أن طبيعة العمل الدعوي تكتنفها المتاعب والمشاق، ولا يتغلب عليها إلا الصابرون.

٣- أنه إن لم يتحل الداعية إلى الله بالصبر كان ما يفسد أكثر مما يصلح.

٤- أن اتصاف الداعية إلى الله بالصبر في دعوته يحقق له ثمارًا عظيمة، فيضاعف أجره على غيره.

أبرز الدعائم التي تجعل الصبر واقعًا ملموسًا في مسيرة الداعية إلى الله:

١- أن يدرك الداعية إلى الله مفهوم الصبر وأنواعه وفضله وآدابه، ومن ثم يجتهد في بيان ذلك للمدعوين.

٢- أن يدرك الداعية إلى الله بأن طريق الدعوة إلى الله طريق يفتقر للصبر

---

(١) مسلم، برقم (١٠٥٣).

(٢) مسلم، برقم (٢٩٩٩).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والاحتساب، وقد يناله أصناف من الأذى -خصوصًا من أهل الأهواء والبدع-، يقول أبو إسماعيل الصابوني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في عقيدته: «وعلامات البدع على أهلها ظاهرة بادية، وأظهر آياتهم وعلاماتهم شدة معاداتهم لحملة أخبار النبي ﷺ واحتقارهم لهم، واستخفافهم لهم»(١).

٣- أن يوقن الداعية إلى الله بأن العاقبة الحسنة للحق وأهله.

٤- أن يحذر الداعية إلى الله من آفات الصبر، ومن أشدها ما يأتي: الاستعجال، والغضب، والضيق.

٥- أن يدرك الداعية إلى الله إن كان ذا صبر قليل بأن صفة الصبر من الأخلاق التي يمكن اكتسابها من خلال التعود والتدرب عليها، لقول النبي ﷺ: «**وَمَنْ يَصْبِرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ**»(٢).

٦- أن يحذر الداعية إلى الله من تنزيل الصبر على غير مفهومه الشرعي، ومن ذلك: ما تفعله بعض التنظيمات التكفيرية من: منازعة أولي الأمر، وثم إثارة الشعوب عليهم، وإدخال تلك الأساليب والطرق في مسمى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، سالكة في ذلك مسالك الخوارج الأول -إن لم تكن أشد-، وإذا ما عمت الفتنة البلاد والعباد قاموا بتلاوة آيات الصبر والمصابرة، وكثيرٍ من الأحاديث الآمرة بالصبر عند الابتلاء، غير ناظرين إلى أساليبهم الدعوية الخطيرة المنافية للسُنّة النبوية، وما علموا أن هذه الأساليب ما هي إلا إغراق في الباطل، وتغرير بشباب الأمة،

(١) عقيدة السلف وأصحاب الحديث، للإمام أبي إسماعيل الصابوني (ص:١٠١).

(٢) مسلم، برقم (١٠٥٣).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «نهيه ﷺ عن قتال الأمراء والخروج على الأئمة وإن ظلموا وجاروا ما أقاموا الصلاة؛ سدًا لذريعة الفساد العظيم والشرّ الكثير بقتالهم، كما هو الواقع، فإنه حصل بسبب قتالهم، والخروج عليهم أضعاف ما هم عليه، والأمة في بقايا تلك الشرور إلى الآن»(١).

رابعًا: الصدق:

الصدق في اللغة: مأخوذ من مادة (صدق) التي هي أصل يدل على قوة الشيء قولًا وغيره، ومنه: قولهم: (رمح صدق) أي: صلب، ومن ذلك: (الصدق) الذي هو خلاف الكذب، سموه بذلك لما في الصدق من قوة وصلابة في نفسه، بخلاف الكذب فإنه لا قوة له(٢).

وأما في الاصطلاح:

الصدق: مطابقة القولِ الضمير والمُخْبَر عنه معًا، ومتى انخرم شرط من ذلك لم يكن صدقًا تامًا(٣).

الأدلة على فضل الصدق:

أولًا: أمر الله تعالى للمؤمنين بالصدق، كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة:١١٩]، أي: اصدقوا أو الزموا الصدق؛ تكونوا من أهله، وتنجوا من المهالك، ويجعل لكم فرجًا من أموركم ومخرجًا(٤).

(١) إعلام الموقعين عن ربِّ العالمين، لابن القيم (٣/ ١٤٩).
(٢) لسان العرب، لابن منظور (١٠/ ١٩٣)، ومعجم مقاييس اللغة، لابن فارس (ص:٥٦٥).
(٣) المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني (ص:٢٧٧).
(٤) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٢/ ٣٨١).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثانيًا: أن الله عَزَّوَجَلَّ وصف أنبياءه عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بالصدق، فقال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ [مريم:٤١]، وقال جل شأنه: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾ [يوسف:٤٦]، وقال سبحانه: ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ [يس:٥٢].

ثالثًا: اتصاف النبي ﷺ بخلق الصدق، فقد شهد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بصدق النبي ﷺ قال تعالى: ﴿وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ [الأحزاب:٣٢]، وقال سبحانه: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر:٢٢].

وقالت أم المؤمنين خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا للرسول ﷺ في قصة بدء الوحي: «كلا والله ما يخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق»(١).

رابعًا: النهي عن الكذب وذمه، فأما النهي عنه ففي آيات منها قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ [النحل:١١٦].

وبين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن الكذب إثم مبين فقال: ﴿انْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُبِينًا﴾ وأنه من علامات النفاق، فقال جل شأنه: ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [النساء:٥٠].

والكذب يهدي للفجور؛ فعن عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: **«وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ**

(١) مسلم، برقم (١٦٠).

حَتَّى يُكْتَبَ كَذَّابًا»(١).

أهمية الصدق للداعية إلى الله:

أولًا: أن صدق الداعية إلى الله في القول والعمل يحقق له الهداية والتوفيق إلى اتباع الحق والدعوة إليه، بينما الكاذب محروم من هدي الله وتوفيقه، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ﴾ [غافر:٢٨].

ثانيًا: أن الصدق يكسب الداعية إلى الله ثقة المدعوين، فيصدقونه إذا حدث، ويركنون إلى وعده ويطمعون في أمانته، فيثمر ذلك استجابة المدعوين للحق، إضافة إلى تحقيق التآلف والتآزر والتواد وتقارب القلوب، بخلاف الكذب الذي يغرس الضغينة ويرفع الثقة ويورث الريبة والشك.

ثالثًا: مهابة الناس للداعية الصادق، قال أحد السلف: «يُرزق الصادق ثلاث خصال: الحلاوة، والملاحة، والمهابة»(٢).

أبرز الدعائم التي تجعل الصدق مثالًا واقعيًا في حياة الداعية إلى الله ما يأتي:

أولًا: أن يدرك الداعية إلى الله مجالات الصدق، ومن ثم يسعى جاهدًا لتحقيقها ودعوة الناس إلى ذلك ومجالات الصدق هي ما يأتي:

١- **الصدق في النية والإرادة**، فإن مازج عملَه شوب من حظوظ النفس

---

(١) مسلم، برقم (٢٦٠٧).

(٢) مدارج السالكين، لابن القيم (٢/ ٢٧٧).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بطل صدق النية، وصاحبه يجوز أن يكون كاذبًا؛ كما في قول النبي ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ...»[1].

فكذب هنا في إرادته ونيته.

٢- **صدق القول والحديث**، فحق على كل مسلم أن يحفظ ألفاظه، ولا يتكلم إلا بالصدق، وصدق الحديث هو أشهر أنواع الصدق وأظهرها، فقد أمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عباده المتقين بالقول السديد فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [الأحزاب:٧٠]. وأخبر النبي ﷺ أن كذب الحديث من النفاق وعلاماته، فقال ﷺ: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ»[2].

٣- **الصدق في الأعمال**، وهو العمل بما يدعو إليه وبما يعلمه من الحق، فقد قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف:٢-٣].

ثانيًا: أن يعتمد الداعية إلى الله في خطابه الدعوي على وضوح العبارة ومناسبتها لقدرات المدعوين وثقافتهم؛ لأنه يُخشى أن يُفهم كلامه على غير مراده فيضل المدعوين، لذلك وجه علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الدعاة بأن يُحَدِّثوا الناس بما يدركون فقال رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «يا أيها الناس، أتريدون أن يكذَّب الله ورسوله؟، حدثوا الناس بما يعرفون»[3].

---

(١) مسلم، برقم (١٩٠٥).

(٢) مسلم، برقم (٥٩).

(٣) البخاري، برقم (١٢٧).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فيه دليل على أن المتشابه لا ينبغي أن يُذكر عند العامة»(١).

ثالثًا: أن يبين الداعية للناس فضائل الصدق وجزاء الصادقين، ويحذرهم من خطورة الكذب وجزاء أهله، مستشهدًا على ذلك بالأدلة من الكتاب والسنة.

رابعًا: أن يدرك الداعية إلى الله أن من لوازم الصدق عدم ذكر الغرائب والروايات والقصص الموضوعة، فإنها من دلائل قلة الفقه. قال الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «تركوا الحديث، وأقبلوا على الغرائب، ما أقل الفقه فيهم»(٢).

وذكر الحافظ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ الاتفاق على ذلك، فقال: واتفقوا على تحريم رواية الموضوع إلا مقرونًا ببيانه، لقوله ﷺ: «**مَنْ حَدَّثَ عَنِّي بِحَدِيثٍ يُرَى أَنَّهُ كَذِبٌ، فَهُوَ أَحَدُ الْكَاذِبِينَ**(٣)»(٤).

خامسًا: الرفق:

الرفق في اللغة: الراء والفاء والقاف: أصل واحد يدل على موافقة ومقاربة بلا عنف(٥).

الرفق في الاصطلاح: هو «لين الجانب بالقول والفعل، والأخذ بالأسهل

(١) فتح الباري، لابن حجر (١/ ١٨٢).
(٢) شرف أصحاب الحديث، للخطيب البغدادي (ص:٢٦١).
(٣) مسلم، برقم (١).
(٤) نزهة النظر شرح نخبة الفكر، لابن حجر (ص:٩٨).
(٥) لسان العرب، لابن منظور (٣/ ٦٩٥)، ومعجم مقاييس اللغة، لابن فارس (ص:٤١٣)، والقاموس المحيط، للفيروز آبادي (ص:٧٩٨).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والأيسر، وكثرة الاحتمال، وعدم الإسراع بالغضب والتعنيف»[1].

الأدلة على فضل الرفق:

أولًا: أن الرفق من أخلاق الأنبياء والمرسلين:

فهذا نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول لقومه: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف:٥٩].

ولقد واجه موسى وهارون عَلَيْهِمَا السَّلَامُ أعتى وأشد جبابرة الأرض، وهو فرعون الذي طغا وتكبر وادعى الألوهية، ومع هذا فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أمر موسى وهارون عَلَيْهِمَا السَّلَامُ بأن يخاطبا فرعون باللين والرفق، فقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه:٤٣-٤٤]، قال الشيخ عبدالله بن حميد رَحِمَهُ اللَّهُ: «فالداعي أيًا كانت منزلته وأيًا كان عقله وعلمه ليس بأفضل من موسى وهارون عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، ومن وجهت إليه الدعوة ليس بأخبث من فرعون؟ وقد أمرهما الله باللين معه»[2].

ثانيًا: أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أثنى على نبينا محمد ﷺ باتصافه بالرفق: فقال جل شأنه: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران:١٥٩].

قال الشيخ عبدالله بن حميد رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي: لو كنت خشنًا جافيًا في معاملتهم

(١) فتح الباري، لابن حجر (١٠/ ٤٤٩).

(٢) مجلة البحوث الإسلامية، العدد (١)، (ص:٤٢٠).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لتفرقوا عنك ونفروا منك ولم يسكنوا إليك، ولم يتم أمرك من هدايتهم وإرشادهم إلى الصراط المستقيم»(١).

ثالثًا: حث النبي ﷺ على الرفق وبيانه له بقوله وفعله:

فمن أقواله ﷺ: ما رواه جرير بن عبدالله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**مَنْ يُحْرَمِ الرِّفْقَ، يُحْرَمِ الْخَيْرَ**» وفي رواية: «**مَنْ حُرِمَ الرِّفْقَ، حُرِمَ الْخَيْرَ**»(٢).

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ**»(٣).

وعنها أيضًا أن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ**»(٤).

وعنها أيضًا قالت: «سمعت رسول الله ﷺ يقول في بيتي هذا: «**اللهُمَّ، مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ، فَاشْقُقْ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ، فَارْفُقْ بِهِ**»»(٥).

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهذا من أبلغ الزواجر عن المشقة على الناس، وأعظم الحث على الرفق بهم»(٦).

---

(١) المرجع السابق.

(٢) مسلم، برقم (٢٥٩٢).

(٣) مسلم، برقم (٢٥٩٤).

(٤) مسلم، برقم (٢٥٩٣).

(٥) مسلم، برقم (١٨٢٨).

(٦) شرح صحيح مسلم، للإمام النووي (١٢/ ٢١٣).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وأما من أفعاله ﷺ التي تدل على الرفق: فلا أدل على ذلك من رفقه بالأعرابي الذي بال في المسجد: فعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «**بينما نحن في المسجد مع رسول الله ﷺ إذ جاء أعرابي فقام يبول في المسجد، فقال أصحاب رسول الله ﷺ: «مه مه» فقال رسول الله ﷺ: «لَا تُزْرِمُوهُ دَعُوهُ**» فتركوه حتى بال، ثم إن رسول الله ﷺ دعاه، فقال: «**إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ، وَلَا الْقَذَرِ إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ، وَالصَّلَاةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ**» فأمر رجلًا من القوم، فجاء بدلو من ماء فشنه عليه»(١).

أهمية الرفق للداعية إلى الله:

الرفق من صفات الكمال، وحلية العقلاء، ومن شيم أصحاب الأخلاق النبيلة، وهو من أهم مقومات الداعية إلى الله، ولا غنى للداعية إلى الله عنه وذلك لما يأتي:

أولًا: أن الرفق يؤثر في نفوس المدعوين ويصلحها، ويسل منها حقدها، ويستعطفها، ويلين عريكتها، ويجعلها مقبلة على الدعوة، حتى وإن كانت صلبة جافية قاسية. قال سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ ناصحًا الدعاة إلى الله: «فعليك -يا عبدالله- أن ترفق في دعوتك، ولا تشق على الناس، ولا تنفرهم من الدين، ولا تنفرهم بغلظتك ولا بجهلك ولا بأسلوبك العنيف المؤذي الضار، عليك أن تكون حليمًا صبورًا سلس القياد لين الكلام طيب الكلام، حتى تؤثر في قلب أخيك، وحتى تؤثر في قلب المدعو، وحتى يأنس لدعوتك ويلين لها ويتأثر بها ويثني

(١) مسلم، برقم (٢٨٤).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عليك بها ويشكرك عليها، أما العنف فهو منفّر لا مقرّب ومفرق لا جامع»[1].

ثانيًا: إذا اتصف الداعية إلى الله بالرفق فإنه يتحصل على الأجر العظيم من الله عَزَّوَجَلَّ كما دلت عليه الأدلة المتقدمة، فيعطى على رفقه من الأجر ما لا يعطى على غيره، ويمنح الخير والرزق ويتحصل على إحدى الخصال التي يحبها الله تعالى، ويسلك بإحدى طرق الفوز بالجنة.

ثالثًا: أن الحيدة عن الرفق في الدعوة تؤول إلى مفاسد كبيرة، وتعوق العمل الدعوي وتضر بالدعوة وأهلها، قال سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ محذرًا الدعاة إلى الله من خطورة انتهاج العنف في الدعوة وما يؤدي إليه من فتن وقلاقل: «والأسلوب السيء العنيف من أخطر الوسائل في رد الحق وعدم قبوله، وإثارة القلاقل، والظلم والعدوان والمضاربات...، فاصبر وصابر، واستعمل الرفق، ودع عنك العنف، ودع كل سبب يضيق على الدعوة ويضرها ويضر أهلها»[2].

الدعائم التي تساهم في تحلي الداعية إلى الله بالرفق وتحويله إلى واقع مشاهد في دعوته، ما يأتي:

أولًا: أن يحرص الداعية إلى الله على استخدام الرفق في دعوته -سواء القولية أو الفعلية-.

ثانيًا: أن يدرك الداعية إلى الله أن الأصل في الدعوة استخدام الرفق واللين

(١) مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٤)، (ص:٢٤)، وانظر العدد (٤٢)، (ص:١٠).
(٢) المرجع السابق، العدد (٣٨)، (ص:٢١٠).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إلا من ظلم وعاند واستكبر؛ فإنه ينتقل معه إلى التقريع والتعنيف والغلظة إذا اقتضت الحكمة ذلك.

ثالثًا: أن يدرك الداعية إلى الله أن من مظاهر عدم الرفق في الدعوة منازعة الحكام والخروج عليهم وتسيير المظاهرات والهتافات ضدهم التي تؤول إلى مفاسد وشرور وويلات كثيرة على الدعاة والدعوة الإسلامية، وعلى الأفراد والمجتمعات المسلمة. قال سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ محذرًا الدعاة من الأساليب السيئة العنيفة: «والأسلوب السيء العنيف من أخطر الوسائل في رد الحق وعدم قبوله وإثارة القلاقل والظلم والعدوان والمضاربات، ويلحق بهذا الباب ما قد يفعله بعض الناس من المظاهرات التي قد تسبب شرًا عظيمًا على الدعاة، فالمسيرات في الشوارع والهتافات والمظاهرات ليست هي الطريق للإصلاح والدعوة، فالطريق الصحيح بالزيارة، والمكاتبات بالتي هي أحسن فتنصح الرئيس والأمير وشيخ القبيلة بهذا الطريق لا بالعنف والمظاهرة، فالنبي ﷺ مكث في مكة ثلاث عشرة سنة لم يستعمل المظاهرات ولا المسيرات، ولم يهدد الناس بتخريب أموالهم واغتيالهم، ولاشك أن هذا الأسلوب يضر الدعوة والدعاة ويمنع انتشارها، ويحمل الرؤساء والكبار على معاداتها ومضادتها بكل ممكن، فهم يريدون الخير بهذا الأسلوب لكن يحصل به ضده، فكون الداعي إلى الله يسلك مسلك الرسل وأتباعهم -ولو طالت المدة- أولى به من عمل يضر الدعوة ويضايقها، أو يقضي عليها، ولا حول ولا قوة إلا بالله»[1].

---

(١) مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٣٨)، (ص:٢١٠).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

سادسًا: اتباع منهج السلف الصالح:

إن للأمة الإسلامية سلفًا تقدموا بالخير والهدى، وسبقوا إليه، وعملوا به، والتابع لا يستحق النجاة والخيرية إلا بالسير على نهج من سلفه، والعمل بما سبق إليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ موضحًا هذا المعنى: «فلا فلاح إلا باتباع الرسول ﷺ، فإن الله خص بالفلاح أتباعه المؤمنين وأنصاره، كما قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف:١٥٧]: أي لا يفلح إلا هم»(١).

ويقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ في موضع آخر مبينًا أن النجاة والفلاح باتباع من سبق من السابقين الأولين: «وإنما الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين هي سبيل نبينا محمد ﷺ، وسبيل خلفائه وأصحابه، ومن سلك سبيلهم»(٢).

واستحق السلف الصالح -رضي الله عنهم أجمعين- هذه المنزلة الكبيرة والفضل العظيم بسبب ما هداهم الله إليه من الصواب والهدى وحسن الفهم للأدلة المعتبرة، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند بيانه لعقيدة أهل السُنّة

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (١٩/ ٩٧).

(٢) المرجع السابق.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والجماعة أتباع السلف: «والصواب في جميع مسائل النزاع: ما كان عليه السلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان»(١).

السلف في الاصطلاح: جاء تعريف السلف في الاصطلاح من خلال فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بما يأتي: «السلفية: نسبة إلى السلف، والسلف هم صحابة رسول الله ﷺ وأئمة الهدى من أهل القرون الثلاثة الأولى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، الذي شهد لهم رسول الله ﷺ بالخير في قوله: «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ أَقْوَامٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ**»(٢).

والسلفيون: جمع سلفي نسبة إلى السلف، وهم الذين ساروا على منهاج السلف من اتباع الكتاب والسُنّة والدعوة إليهما والعمل بهما فكانوا بذلك أهل السُنّة والجماعة(٣).

ويتبين من فتوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء أنهم وافقوا ما قرره المحققون من أهل السُنّة والجماعة، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «والصواب في جميع مسائل النزاع: ما كان عليه السلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان»(٤).

ويقول في موضع آخر: «وإنما الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين هي سبيل نبينا محمد ﷺ، وسبيل خلفائه

---

(١) المرجع السابق (ص:٢٠٥).

(٢) البخاري، برقم (٢٦٥٢)، ومسلم، برقم (٣٥٣٥).

(٣) مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٣٤)، (ص:٩٣)، فتوى رقم (١٣٦١).

(٤) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (١٧/ ٢٠٥).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وأصحابه، ومن سلك سبيلهم»[1].

ويقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ مبينًا أن أهل الحديث ساروا على ما كان عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم: «غير أن الله تعالى أبى أن يكون الحق والعقيدة الصحيحة إلا مع أهل الحديث والآثار؛ لأنهم أخذوا دينهم وعقائدهم خلفًا عن سلف وقرنًا عن قرن إلى أن انتهوا إلى التابعين، وأخذه التابعون عن أصحاب النبي ﷺ، وأخذه الصحابة عن رسول الله ﷺ، ولا طريق إلى معرفة ما دعا إليه رسولُ الله ﷺ الناسَ من الدين المستقيم والصراط القويم إلا هذا الطريق الذي سلكه أصحاب الحديث»[2].

ويقول السفاريني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والمراد بمذهب السلف: ما كان عليه الصحابة الكرام -رضوان الله عليهم أجمعين-، وأعيان التابعين لهم بإحسان، وأتباعهم، وأئمة الدين ممن شُهد له بالإمامة، وعُرف عظيم شأنه في الدين، وتلقى الناس كلامهم خلفا عن سلف دون مَنْ رمي ببدعة أو شهر بلقب غير مرض»[3].

ويتبين من فتوى اللجنة الدائمة وأقوال أهل التحقيق من أهل السُنّة والجماعة أن مفهوم (السلف) يطلق على أمرين:

١- المجموعة المتقدمة من الصحابة والتابعين وتابعيهم على الصحيح من أقوال أهل العلم.

---

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٢٨/ ٤٣).

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن القيم (١/ ٨).

(٣) لوامع الأنوار البهية، للسفاريني (١/ ٢٠).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ويدل عليه حديث عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ أَقْوَامٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ»(١).

٢- أنه منهج قائم وطريقة واضحة، وهي ما كان عليه الصحابة والتابعون وتابعوا التابعين ومن سار على نهجهم واقتفى أثرهم بإحسان إلى يوم الدين.

ويؤيد ذلك قول النبي ﷺ: «لاَ يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّةٌ قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللهِ، لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، وَلاَ مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللهِ»(٢).

ذكر الأدلة من الكتاب والسُنّة على وجوب الأخذ بمنهج السلف الصالح.

لقد قرر أهل العلم وجوب الأخذ بفهم سلف الأمة من الصحابة والتابعين وتابعيهم، **واستدلوا على ذلك بأدلة عديدة منها ما يأتي:**

١- قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة:١٠٠].

يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ بعد ذكر هذه الآية: «فوجه الدلالة: أن الله تعالى أثنى على من اتبعهم، فإذا قالوا قولًا فاتبعهم متبع قبل أن يعرف صحته فهو متبع لهم، فيجب أن يكون محمودًا على ذلك، وأن يستحق الرضوان ولو كان اتباعهم تقليدًا محضًا كتقليد بعض المفتين لم يستحق من ابتعهم الرضوان، إلا أن يكون

(١) البخاري، برقم (٢٦٥٢)، ومسلم، برقم (٣٥٣٥).
(٢) البخاري، برقم (٣٤٣٧)، ومسلم، برقم (١٩٢٠).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عاميًا، فأما العلماء المجتهدون فلا يجوز لهم اتباعهم حينئذ»[1].

٢- قال جل شأنه: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء:١١٥].

فيتضح من خلال الآية أنها قرنت بين مشاقة الرسول ﷺ واتباع غير سبيل المؤمنين في استحقاق الإضلال وصلي جهنم، ومشاقة الرسول ﷺ متلازمة مع اتباع غير سبيل المؤمنين، كما أن اتباع سبيل المؤمنين متلازم مع اتباع الرسول ﷺ، وعلى هذا كثير من علماء السلف وهو أمر ظاهر؛ لأن اتباع سبيل المؤمنين ممتنع دون اتباع النبي ﷺ، كما أن اتباع سُنّة الرسول ﷺ تعذر بمخالفة ما سلكه المؤمنون في تأويل الكتاب والسُنّة والتحليل والتحريم والإيجاب، وبهذا يتبين عظم شان الرجوع لفهم السلف الصالح[2].

٣- عن العرباض بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم، ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة، ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقال قائل: يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع، فماذا تعهد إلينا؟ فقال: «**أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى الله، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»[3].

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن القيم (٤/ ١١٨).

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن القيم (٤/ ١١٨).

(٣) مسند أحمد (٤/ ١٢٦-١٢٧)، وأبو داود، برقم (١٦٠٧)، والترمذي، برقم (٢٦٧٦)، وقال: حديث حسن صحيح.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فهذا الحديث يدل على حجية فهم السلف الصالح، وذلك من وجوه عدة منها ما يأتي[1]:

أ- قرن رسول الله ﷺ سُنّة الخلفاء الراشدين -وهي فهم السلف- مع سُنته، فدل على أن الإسلام لا يفهم إلا بمنهج السلف.

ب- أنه جعل سنة الخلفاء الراشدين سُنته؛ فقال: «عَضُّوا عَلَيْهَا» ولم يقل: «عضوًا عليهما»، فتبين أن سُنّة الخلفاء الراشدين من سُنته.

جـ- أنه قابل ذلك كله بالتحذير من البدع؛ فدل على أن كل مخالف لمنهج السلف واقع في البدع وإن لم يشعر.

د- أنه جعل ذلك مخرجًا من الاختلاف والابتداع؛ فمن تمسك بسُنّة رسول الله ﷺ وسُنّة خلفائه الراشدين كان من الفرقة الناجية يوم القيامة.

هـ- أنه لم يدخل سُنته وسُنّة الخلفاء الراشدين في الاختلاف الكثير، فدل على أنهما جميعًا من عند الله؛ لأن الاختلاف الكثير ليس من عند الله؛ كما قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء:٨٢].

أهمية اتباع منهج السلف الصالح للداعية إلى الله:

تتجلى الأهمية الكبرى لسير الداعية إلى الله وفق منهج السلف الصالح؛ لأنهم أعرف الناس بمراد الله ومراد رسوله ﷺ، وأقرب الأجيال إلى النبوة عهدًا، وأغزرهم علمًا، وأتقاهم قلوبًا، وأزكاهم نفوسًا، وأعرفهم بالحق، وأبعدهم عن الضلالة

(١) بصائر ذوي الشرف بشرح مرويات منهج السلف، سليم الهلالي (ص:٧٠).

والأهواء، فهم أعلام الهدى ومصابيح الدجى.

قال عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «من كان منكم مستنا فليستن بمن قد مات، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب رسول الله ﷺ أبر هذه الأمة قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا، وأحسنها حالًا، قومًا اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه ﷺ، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم»(١).

وقال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ عند كلامه عن السلف: «هم فوقنا في كل علم وعقل ودين وفضل، وكل سبب ينال به علم أو يُدرك به هدى، ورأيهم لنا خير من رأينا لأنفسنا»(٢).

الدعائم التي تسهم في تحقيق اتباع منهج السلف للداعية إلى الله:

١ - أن يدرك الداعية إلى الله أن منهج السلف الصالح في الدعوة وغيرها هو أتم وأعلم وأحكم، يقول النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: «والسلف علمهم أتم وأعلم، وأسد وأبين وأسلم، فلهذا صار أئمة الهدى على دربهم، ومصابيح الدجى على طريقهم، وهم القوم لا يشقى جليسهم، ولا يخاف تابعهم، ولا يضل متبعهم، ولا يهتدي مخالفهم»(٣).

أن يدرك الداعية إلى الله جواز الانتساب لمنهج السلف إن كان سائرًا عليه حقًّا، فقد قرر أهل العلم ذلك، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا عيب على من أظهر مذهب السلف وانتسب إليه واعتزى إليه، بل يجب قبول ذلك منه

(١) جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر (٢/ ٩٤٧).
(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن القيم (٣/ ٣٦٩).
(٣) المجموع، للنووي (١/ ١٠).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بالاتفاق، فإن مذهب السلف لا يكون إلا حقًّا»(١).

ويقول سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ عندما سُئل عن من تسمى بالسلفي والأثري: «إذا كان صادقًا أنه أثري أو أنه سلفي لا بأس، مثلما كان السلف يقولون: فلان سلفي، فلان أثري، تزكية لابُد منها، تزكية واجبة»(٢).

ويقول الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وإذا قيل السلف والسلفيون أو لجادتهم: السلفية؛ فهي هنا نسبة إلى السلف الصالح: جمع الصحابة رَحِمَهُ ٱللَّهُ فمن تبعهم بإحسان، دون من مالت به الأهواء...، الثابتون على منهاج النبوة نسبوا إلى سلفهم الصالح في ذلك؛ فقيل لهم: السلف، السلفيون، والنسبة إليهم سلفي، وعليه؛ فإن لفظ السلف؛ يعني: السلف الصالح، وهذا اللفظ عند الإطلاق يعني: كل سالك في الاقتداء بالصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ حتى ولو كان في عصرنا، وهكذا، وعلى هذا كلمة أهل العلم»(٣).

٣- أن يستحضر الداعية إلى الله الأدلة التي توجب الأخذ بفهم السلف الصالح، وبثها بين الناس ليلتزموا بها وليسيروا على ما كان عليه سلفهم الصالح؛ فإن الخير في اتباع من سلف، والشر في ابتداع من خلف.

سابعًا: البعد عن الغلو:

الغلو في اللغة: الغين واللام المعتل: أصل صحيح في الأمر يدل على ارتفاع

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٤/ ١٤٩).

(٢) من محاضرة لسماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز بعنوان (حق المسلم) في ١٦/ ١/ ١٤١٣هـ بالطائف.

(٣) حكم الانتماء للفرق والأحزاب والجماعات الإسلامية، لبكر بن عبدالله أبوزيد (ص:٤٦).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ومجاوزة قدر، يقال: غلا السعر: إذا ارتفع[1].

الغلو في الاصطلاح:

قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الغلو فهو المبالغة في الشيء والتشديد فيه بتجاوز الحد»[2].

أو «الإفراط في مجاوزة المقدار المعتبر شرعًا في أمر من أمور الدين»[3].

الأدلة على التحذير من الغلو:

أولًا: قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء:١٧١]، قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ينهى تعالى أهل الكتاب عن الغلو والإطراء، وهذا كثير في النصارى؛ فإنهم تجاوزوا الحد في عيسى حتى رفعوه فوق المنزلة التي أعطاه الله إياها، فنقلوه من حيز النبوة إلى أن اتخذوه إلها من دون الله يعبدونه كما يعبدونه»[4].

ثانيًا: عن عبد الله بن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ غداة العقبة وهو على ناقته: «**ٱلْقُطْ لِي حَصًى**»، **فلقطت له سبع حصيات هن حصى الخذف، فجعل**

---

(١) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (ص:٧٧٣)، والعين، للفراهيدي (٨/ ٤٤٦)، والقاموس المحيط، للفيروز آبادي (١/ ١٧٠٠).

(٢) فتح الباري، لابن حجر (١٣/ ٢٧٨).

(٣) مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٧٤)، (ص:٢٢٩).

(٤) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (١/ ٥٩٠).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ينفضهن في كفه ويقول: «أَمْثَالَ هَؤُلَاءِ، فَارْمُوا» ثم قال: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ»(١).

ففي هذا الحديث يحذر النبي ﷺ أمته من الغلو مبينًا أنه أهلك من كان قبلهم من الأمم، وعدَّ النبي ﷺ من رمى جمرة العقبة بأكثر من العدد الذي حدده وبأكبر من الحجم الذي بينه غاليًا في الدين، فكيف بمن يغلو في تكفير المسلمين وإزهاق أرواحهم وإتلاف ممتلكاتهم؟ ألا يكون أولى وأحق بالهلاك من هذا الذي يرمي بأكثر من سبع حصيات أو بأكبر من الحجم الذي بينه ﷺ؟.

ثالثًا: عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ**»(٢).

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله: «**وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ**» «والمعنى: لا يتعمق أحد في الأعمال الدينية ويترك الرفق إلا عجز وانقطع فيغلب...، والحديث عَلَم من أعلام النبوة، فقد رأينا ورأى الناس قبلنا أن كل متنطع في الدين ينقطع»(٣).

رابعًا: عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ**» قالها ثلاثًا.

---

(١) ابن ماجه، برقم (٣٠٢٩)، والنسائي، برقم (٤٠٦٣)، والبيهقي، برقم (٩٣١٧)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم (٢١٤٤).

(٢) البخاري، برقم (٣٩).

(٣) فتح الباري، لابن حجر (١/ ٩٤).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قال الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(هلك المتنطعون) أي: المتعمقون الغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم»(١).

أهمية البعد عن الغلو للداعية إلى الله:

أولًا: أن صاحب الغلو في الدين متوعَّد بالهلاك -نسأل الله العافية-، لما جاء من حديث عبد الله بن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «**فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ الْغُلُوُّ فِي الدِّينِ**»(٢).

ثانيًا: أن الغلو في الدين من المداخل التي ينفذ منها الشيطان لإغواء أهل العبادة والصلاح.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عند بيانه لنزغات الشيطان ومداخله: «ما أمر الله بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان: إما إلى تفريط وإضاعة، وإما إلى إفراط وغلو، ودين الله وسط بين الجافي عنه والغالي فيه، كالوادي بين جبلين، والهدى بين ضلالتين، والوسط بين طرفين ذميمين، فكما أن الجافي عن الأمر مضيع له؛ فالغالي فيه مضيع له؛ هذا بتقصيره عن الحد، وهذا بتجاوزه الحد»(٣).

ثالثًا: أن غلو الداعية يجعله يحمل وزره ووزر من أضله من المدعوين -عياذًا بالله-، لما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ**»(٤).

---

(١) شرح صحيح مسلم، للنووي (١٦/ ٢٢٠).

(٢) تقدم تخريجه (ص:٤٣).

(٣) مدارج السالكين، لابن القيم (٢/ ٧١).

(٤) مسلم، برقم (١٠١٧).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

رابعًا: أن غلو الداعية إلى الله يؤول إلى انتشار ظاهرة الغلو وتفاقمها، وبالتالي تثمر آثارًا مريرة على الدعوة والدعاة، بل وعلى الأمة الإسلامية بأكملها، بالإضافة إلى إعطاء الأعداء الذرائع التي تبرر لهم التسلط على أهل الإسلام وإذلالهم واستغلال خيراتهم. جاء في بيان لهيئة كبار العلماء -حفظها الله- حول الأحداث الإرهابية التي وقعت في الرياض -حماها الله-:

«ثم ليعلم الجميع أن الأمة الإسلامية اليوم تعاني من تسلط الأعداء عليها من كل جانب، وهم يفرحون بالذرائع التي تبرر لهم التسلط على أهل الإسلام وإذلالهم واستغلال خيراتهم، فمن أعانهم في مقصدهم وفتح على المسلمين وبلاد الإسلام ثغرًا لهم فقد أعان على انتقاص المسلمين والتسلط على بلادهم، وهذا من أعظم الجرم»[1].

أبرز الدعائم التي تحقق للداعية إلى الله البعد عن الغلو:

أولًا: أن يدرك الداعية إلى الله حقيقة الغلو والأدلة التي تحذر منه، ومن ثم يبين للناس ذلك بكل وضوح.

ثانيًا: أن يوقن الداعية إلى الله بعظم المسؤولية الملقاة على عاتقه تجاه أشد مظاهر الغلو وضوحًا، وأخطرها على الأفراد والمجتمعات في وقتنا المعاصر، وهي ظاهرة التكفير وما يلحقه من تفجير وتدمير، فيتطلب منه إنكارها وبيان حرمتها ومخالفتها لأدلة الكتاب والسُنّة وما كان عليه سلف الأمة، وليستعن بما جاء من

(١) مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٦٩)، (ص:٣٧٢).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بيانات شافية من هيئة كبار العلماء في إنكار هذه الأعمال وبيان شناعتها وخطورتها، ومن تلك البيانات ما يأتي:

بيان من هيئة كبار العلماء:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه، أما بعد:

فقد درس مجلس هيئة كبار العلماء في دورته التاسعة والأربعين المنعقدة بالطائف ابتداء من تاريخ ٢/ ٤/ ١٤١٩هـ ما يجري في كثير من البلاد الإسلامية وغيرها من التكفير والتفجير، وما ينشأ عنه من سفك الدماء وتخريب المنشآت، ونظرًا إلى خطورة هذا الأمر، وما يترتب عليه من إزهاق أرواح بريئة، وإتلاف أموال معصومة، وإخافة للناس، وزعزعة لأمنهم واستقرارهم؛ فقد رأى المجلس إصدار بيان يوضح فيه حكم ذلك نصحًا لله ولعباده، وإبراء للذمة، وإزالة للبس في المفاهيم لدى من اشتبه عليه الأمر في ذلك، فنقول -وبالله التوفيق-:

١- التكفير حكم شرعي مرده إلى الله ورسوله، فكما أن التحليل والتحريم والإيجاب إلى الله ورسوله فكذلك التكفير، وليس كل ما وُصف بالكفر من قول أو فعل يكون كفرًا أكبر مخرجًا عن الملة.

ولما كان مرد حكم التكفير إلى الله ورسوله لم يجز أن نكفر إلا من دل الكتاب والسُنّة على كفره دلالة واضحة، فلا يكفي في ذلك مجرد الشبهة والظن، لما يترتب على ذلك من الأحكام الخطيرة، وإذا كانت الحدود تُدْرأ بالشبهات -مع أن ما

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يترتب عليها أقل مما يترتب على التكفير- فالتكفير أولى أن يدرأ بالشبهات؛ ولذلك حذر النبي ﷺ من الحكم بالتكفير على شخص ليس بكافر، فقال: «**أَيُّمَا امْرِئٍ قَالَ لِأَخِيهِ: يَا كَافِرُ، فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا، إِنْ كَانَ كَمَا قَالَ، وَإِلَّا رَجَعَتْ عَلَيْهِ**»(١).

وقد يَرِد في الكتاب والسُنّة ما يُفْهم منه أن هذا القول أو العمل أو الاعتقاد كفر، ولا يكفر من اتصف به، لوجود مانع يمنع من كفره، وهذا الحكم كغيره من الأحكام التي لا تتم إلا بوجود أسبابها وشروطها وانتفاء موانعها، كما في الإرث: سببه القرابة -مثلًا-، وقد لا يرث بها لوجود مانع كاختلاف الدين، وهكذا الكفر؛ يكره عليه المؤمن فلا يكفر به، وقد ينطق المسلم بكلمة بالكفر لغلبة فرح أو غضب أو نحوهما فلا يكفر بها لعدم القصد، كما في قصة الذي قال: «**اللهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ**»(٢) أخطأ من شدة الفرح. والتسرع في التكفير يترتب عليه أمور خطيرة من استحلال الدم والمال، ومنع التوارث، وفسخ النكاح، وغيرها مما يترتب على الردة، فكيف يسوغ للمؤمن أن يُقْدم عليه لأدنى شبهة.

وإذا كان هذا في ولاة الأمور كان أشد؛ لما يترتب عليه من التمرد، عليهم وحمل السلاح عليهم، وإشاعة الفوضى، وسفك الدماء، وفساد العباد والبلاد، ولهذا منع النبي ﷺ من منابذتهم، فقال: « **إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا، عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ فِيهِ بُرْهَانٌ**»(٣)، فأفاد قوله: «**إِلَّا أَنْ تَرَوْا**» أنه لا يكفي مجرد الظن والإشاعة، وأفاد

(١) مسلم، برقم (٦٠).

(٢) مسلم، برقم (٢٧٤٧).

(٣) البخاري، برقم (٧٠٥٦)، ومسلم، برقم (١٧٠٩).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قوله: «كُفْرًا» أنه لا يكفي الفسوق ولو كبر كالظلم وشرب الخمر ولعب القمار والاستئثار المحرم، وأفاد قوله: «بَوَاحًا» أنه لا يكفي الكفر الذي ليس ببواح (أي: صريح ظاهر)، وأفاد قوله: «عِنْدَكُمْ مِنَ اللَّهِ فِيهِ بُرْهَانٌ» أنه لابد من دليل صريح بحيث يكون صحيح الثبوت صريح الدلالة، فلا يكفي الدليل ضعيف السند ولا غامض الدلالة، وأفاد قوله: «مِنَ اللَّهِ فِيهِ بُرْهَانٌ» أنه لا عبرة بقول أحد من العلماء مهما بلغت منزلته في العلم والأمانة إذا لم يكن لقوله دليل صريح صحيح من كتاب الله أو سُنّة رسوله ﷺ، وهذه القيود تدل على خطورة الأمر.

وجملة القول: أن التسرع في التكفير له خطره العظيم؛ لقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف:٣٣].

١- ما نجم عن هذا الاعتقاد الخاطئ من استباحة الدماء، وانتهاك الأعراض، وسلب الأموال الخاصة والعامة، وتفجير المساكن والمركبات، وتخريب المنشآت، فهذه الأعمال وأمثالها محرمة شرعًا بإجماع المسلمين؛ لما في ذلك من هتك لحرمة الأنفس المعصومة، وهتك لحرمة الأموال، وهتك لحرمات الأمن والاستقرار وحياة الناس الآمنين المطمئنين في مساكنهم ومعايشهم، وغدوهم ورواحهم، وهتك للمصالح العامة التي لا غنى للناس في حياتهم عنها.

وقد حفظ الإسلام للمسلمين أموالهم وأعراضهم وأبدانهم، وحرم انتهاكها، وشدد في ذلك، وكان من آخر ما بلَّغ به النبي ﷺ أمته فقال في خطبة حجة الوداع:

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

«إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا»، ثم قال ﷺ: «أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟ اللهُمَّ اشْهَدْ»(١). وقال ﷺ: «كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ»(٢) وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «اتَّقُوا الظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(٣) وقد توعد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى من قتل نفسًا معصومة بأشد الوعيد، فقال سبحانه في حق المؤمن: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٩٣]، وقال سبحانه في حق الكافر الذي له ذمة في حكم قتل الخطأ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ [النساء:٩٢]. فإذا كان الكافر الذي له أمان إذا قُتل خطأ فيه الدية والكفارة، فكيف إذا قُتل عمدًا، فإن الجريمة تكون أعظم، والإثم يكون أكبر، وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ»(٤).

٢- إن المجلس إذ يبين حكم تكفير الناس بغير برهان من كتاب الله وسُنّة رسوله ﷺ وخطورة إطلاق ذلك لما يترتب عليه من شرور وآثام؛ فإنه يعلن للعالم أن الإسلام بريء من هذا المعتقد الخاطئ، وأن ما يجري في بعض البلدان من سفك للدماء البريئة وتفجير للمساكن والمركبات والمرافق العامة والخاصة وتخريب للمنشآت هو عمل إجرامي، والإسلام بريء منه، وهكذا كل مسلم يؤمن بالله

(١) البخاري، برقم (٥٢٣٠)، ومسلم، برقم (١٢١٨).
(٢) مسلم، برقم (٢٥٦٤).
(٣) مسلم، برقم (٢٥٧٨).
(٤) البخاري، برقم (٣١٦٦).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

واليوم الآخر بريء منه، وإنما هو تصرف من صاحب فكر منحرف، وعقيدة ضالة، فهو يحمل إثمه وجرمه، فلا يحتسب عمله على الإسلام، ولا على المسلمين المهتدين بهدي الإسلام المعتصمين بالكتاب والسنة المستمسكين بحبل الله المتين، وإنما هو محض إفساد وإجرام تأباه الشريعة والفطرة؛ ولهذا جاءت نصوص الشريعة قاطعة بتحريمه محذرة من مصاحبة أهله، قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ بِٱلۡإِثۡمِۚ فَحَسۡبُهُۥ جَهَنَّمُۚ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ﴾ [البقرة:٢٠٤-٢٠٦].

والواجب على جميع المسلمين في كل مكان التواصي بالحق، والتناصح والتعاون على البر والتقوى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالحكمة والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن، كما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [المائدة:٢]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾ [التوبة:٧١] وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ [العصر:١-٣]، وقال النبي ﷺ: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**»، قيل: لمن يا رسول الله؟ قال: «**للهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ**»(١)، وقال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**مَثَلُ**

(١) مسلم، برقم (٥٥).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى»[1]، والآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة.

ونسأل الله -سبحانه- بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يكف البأس عن جميع المسلمين، وأن يوفق جميع ولاة أمور المسلمين إلى ما فيه صلاح العباد والبلاد وقمع الفساد والمفسدين، وأن ينصر بهم دينه، ويعلي بهم كلمته، وأن يصلح أحوال المسلمين جميعًا في كل مكان، وأن ينصر بهم الحق، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه».

ثالثًا: أن يعتني الداعية إلى الله بتحصيل العلم المؤصل المبني على الكتاب والسُنّة وفهم سلف الأمة ولزوم العلماء الراسخين فيه. جاء في بيان لهيئة كبار العلماء -مبينًا أهم وسائل علاج الغلو-: «كما أنه يجب العناية بالعلم الشرعي المؤصل من الكتاب والسُنّة وفق فهم سلف الأمة، وذلك في المدارس والجامعات وفي المساجد ووسائل الإعلام، كما أنه تجب العناية بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتواصي على الحق، فإن الحاجة بل الضرورة داعية إليه الآن أكثر من أي وقت مضى، وعلى شباب المسلمين إحسان الظن بعلمائهم والتلقي عنهم»[2].

رابعًا: أن يبين الداعية إلى الله للناس بأن التمسك بما شرع الله -سبحانه- والالتزام بما أمر هو مقتضى التوسط في الدين، خلافًا لما يُظن بأن ذلك تشدد وتزمت.

خامسًا: أن يَحْذر الداعية إلى الله ويحذّر غيره من الطعن في ولاة الأمور والعلماء

---

(١) البخاري، برقم (٦٠١١)، ومسلم، برقم (٢٥٨٥).

(٢) مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٦٩)، (ص:٣٧٣).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الراسخين ورميهم بالفظائع لتنفير الناس عنهم، فهذا من أشنع مظاهر الغلو والتنطع.

قال العلامة عبد الله بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ في نصيحة له لمن يطلع عليها من المسلمين: «وقد بلغني عن بعض من غرَّه الغرور الطعن في العلماء، ورميهم بالمداهنة، وأشباه هذه الأقاويل التي صدت أكثر الخلق عن دين الله، وزين لهم الشيطان بسبب ذلك الطعن في الولاية بأمور حقيقتها البهتان والطعن الباطل، وقد علمتم ما جاء به رسول الله ﷺ، وفرضه من السمع والطاعة قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾ [النساء:٥٩]، ولم يستثن سبحانه برًا من فاجر، ونهى ﷺ عن إنكار المنكر إذا أفضى إلى الخروج عن طاعة ولي الأمر، ونهى عن قتالهم؛ لما فيه من الفساد، عن عبادة بن الصامت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: دعانا رسول الله ﷺ فبايعنا، وكان فيما أخذ علينا: أن بايعنا على السمع والطاعة في مكرهنا، ومنشطنا، وعسرنا، ويسرنا، وأثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله، قال: «**إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا، عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ فِيهِ بُرْهَانٌ**»(١)»(٢).

---

(١) تقدم تخريجه (ص:٤٧).

(٢) مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٣٧)، (ص:١٩١).

الركن الثاني: موضوع الدعوة

هو ديـن الإسلام المشتمل على العقيدة والعبادات والمعاملات والأخلاق وللاختصار فإننا سنتكلم عن جانبين مهمين في ذلك:

أولًا: أهمية الدعوة لعقيدة التوحيد:

ويدل على ذلك أمور:

١-أن الدعوة لعقيدة التوحيد هي الأصل الأول في دعوة الأنبياء والمرسلين.

فالبدء بالدعوة لعقيدة التوحيد هو المنهج السديد الذي رسمه الله تعالى لجميع أنبيائه ورسله عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ، وهو المنهج العام المطرد إلى قيام الساعة، والذي يجب أن تؤسس عليه أي دعوة إلى الله تعالى.

قال تعالى مخبرًا عما أرسل به جميع الرسل: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [الأعراف:٥٩].

وكما ذكر الله عَزَّوَجَلَّ عنهم ذلك على سبيل التعميم، فقد ذكر ذلك على سبيل التفصيل، من ذلك أن نوحًا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قال لقومه: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [الأعراف:٦٥].

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وكذلك هود عَلَيْهِ السَّلَامُ قال لقومه: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [الأعراف:٧٣].

وصالح عَلَيْهِ السَّلَامُ قال لقومه: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [الأعراف:٨٥].

وكذلك شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ قال لقومه: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [الأعراف:٨٥].

وإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ قال لقومه: ﴿ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ﴾ [العنبكوت:١٦].

٢- أن النبي ﷺ إنما قاتل الناس من أجل (عقيدة التوحيد):

ذلك أن سائر المفاسد والشرور كانت سائدة في ذلك الوقت، ومع ذلك فإن رسول الله ﷺ جعل الغاية من قتال الناس تحقيق التوحيد وأركان الإسلام؛ إذ قال ﷺ: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلاَمِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ**»(١).

٣- بيان أن كل آية في القرآن الكريم متضمنة لتقرير عقيدة التوحيد وتقرير أصولها:

فجميع ما في القرآن الكريم من أمر ونهي وإخبار يتضمن التوحيد والقيام بحقوقه ومكملاته، يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن كل آية في القرآن فهي متضمنة

(١) البخاري، برقم (٢٥)، ومسلم، برقم (٢٢) إلا أن مسلمًا لم يذكر (إلا بحق الإسلام).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

للتوحيد شاهدة به داعية إليه، فإن القرآن: إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله؛ فهو التوحيد العلمي الخبري، وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له وخلع كل ما يعبد من دونه؛ فهو التوحيد الإرادي الطلبي، وإما أمر ونهي وإلزام بطاعته في نهيه وأمره؛ فهي حقوق التوحيد ومكملاته، وإما خبر عن كرامة الله أهل توحيده وطاعته وما فعل بهم في الدنيا وما يكرمهم به في الآخرة؛ فهو جزاء توحيده، وإما خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال وما يحل بهم في العقبى من العذاب؛ فهو خبر عمن خرج عن حكم التوحيد، فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم»[1].

٤- بيان أن سلامة المعتقد تتوقف عليها سعادة الفرد في الدنيا والآخرة:

وذلك كما قال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة:٢٥٦].

قال الشيخ صالح بن فوزان الفوزان: «ومعنى ذلك: أن من أفلت يده من هذه العقيدة فإنه يكون متمسكًا بالأوهام والباطل، فماذا بعد الحق إلا الضلال؟!»[2].

٥- أن عقيدة التوحيد تنجي صاحبها من عذاب الله يوم القيامة:

فقد روى البخاري عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ لَقِيَ اللهَ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ شيئًا دَخَلَ النَّارَ**»[3].

---

(١) مدارج السالكين، لابن القيم (٣/ ٤٥٠).

(٢) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد، صالح الفوزان (ص:٩).

(٣) البخاري، برقم (١٢٩).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وفي الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «فَإِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ»(١).

٦- بيان أن الإشراك بالله يحرم من الجنة والمغفرة، ويوجب العذاب في النار وحبوط جميع الأعمال:

فقد قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة:٧٢]، وقال جل شأنه: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الزمر:٦٥].

ومن خلال ما تقدم من بيان أهمية الدعوة لعقيدة التوحيد تتبين أهم الدعائم التي يجدر بالداعية إلى الله مراعاتها:

١- أن يدرك الداعية إلى الله بأن أهم واجب وأولى أمر تعالى هو الالتزام بعقيدة التوحيد والدعوة إليها بكل ما يستطيع لا يدخر في ذلك جهدًا ولا مالًا ولا وقتًا.

يقول سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في فتوى له: «فحقيق بالمسلمين -ولاسيما العلماء- أن يجعلوا كبير عنايتهم ومزيد اهتمامهم بمعرفة حقيقة ما بعث الله به الرسل من أولهم إلى آخرهم، وتعليمهم ذلك، والعمل به ظاهرًا وباطنًا، والموالاة والمحبة والتناصح فيه، والتواصي به»(٢).

(١) البخاري، برقم (٥٤٠١).

(٢) مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٦٠)، (ص:٥٧).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ويقول في موضع آخر في خطاب له لكافة المسلمين من حجاج بيت الله الحرام وغيرهم: «أوجه خطابي هذا إلى كافة المسلمين من حجاج بيت الله الحرام وغيرهم، نصيحة لهم، وبراءة للذمة، ورجاء أن ينتبهوا من غفلتهم، ويستيقظوا من رقدتهم، ويصير أكبر همهم وجل بحوثهم وعامة كتاباتهم وإرشاداتهم حول تحقيق معرفة ما هم إليه أشد شيء ضرورة من بيان حقيقة ما بعث الله به رسوله ﷺ، بل ضرورتهم إلى ذلك أعظم من ضرورتهم إلى الطعام والشراب، بل أعظم وأكبر من ضرورتهم إلى النفس»(١).

ويقول سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذا المقام -أعني: التوحيد- دائمًا وأبدًا يحتاج إلى مزيد العناية بتوجيه الناس إلى دين الله وتوحيده وإخلاص العبادة له»(٢).

٢- أن يدرك الداعية إلى الله أنه كما تجب الدعوة إلى التوحيد، فإنه يجب النهي عن ضده من الشرك وأنواعه ووسائله الموصلة إليه، فقد جاء في رسالة لسماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ لأحد القضاة في إحدى الدول الإسلامية: «فلا يخفاكم فضل الدعوة إلى الله، وأنها مقام رسل الله وخلفائهم، وأنتم أهل كلمة ومقام في بلادكم، والواجب عليكم أن تقوموا بما أوجب الله من النصيحة والإرشاد، وتقفوا حياتكم على الدعوة إلى توحيد الله الذي بعث الله به رسله وأنزل به كتبه...، وكما تجب الدعوة إلى التوحيد يجب النهي عن ضده مما ابتلي به كثير من عبادة القبور

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق، العدد (٥١)، (ص:٩).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والتوسل بالأولياء والصالحين، ونعتقد أن هذا الأمر من بالكم ولكن أحببنا مذاكرتكم ولفت نظركم إلى هذا المهم العظيم»[1].

ويقول الشيخ صالح بن فوزان الفوزان: «لقد حذر النبي ﷺ أمته من الشرك غاية التحذير، وسد كل الطرق الموصلة إليه، وحَمَى حِمى التوحيد، **ومن ذلك:**

١- أنه نهى عن الغلو في مدحه بما يُفضى إلى عبادته من دون الله كما حصل للنصارى في حق عيسى بن مريم ﷺ فقد قال النبي ﷺ: «**لاَ تُطْرُونِي، كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا عَبْدُ اللهِ، وَرَسُولُهُ**»[2].

٢- نهى عن الغلو في تعظيم قبور الصالحين بالبناء عليها وإسراجها وتجصيصها والكتابة عليها؛ لأن هذا يفضي إلى عبادتها وطلب قضاء الحوائج من الموتى.

٣- نهى عن الصلاة عند القبور سواء بني عليها مساجد أم لا؛ لأن ذلك وسيلة لعبادتها ولو على المدى الطويل...»[3].

ومن هنا يظهر خطأ بعض الدعاة والمناهج الدعوية التي لا تهتم بالدعوة إلى عقيدة التوحيد، ولا بالنهي عن ضدها، ولا ترفع بذلك رأسًا، وتريد جمع القلوب على غير التوحيد.

فلن تفلح دعوة أزاحت العقيدة من اهتمامها مهما كثر أتباعها وتعددوا، ولن

---

(١) المرجع السابق، العدد (٦٠)، (ص:٥٩).

(٢) البخاري، برقم (٣٤٤٥).

(٣) مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٢٠)، (ص:٢٠٠).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تجتمع قلوب هذه الأمة إلا على التوحيد، فإذا اختل التوحيد فكلٌّ له هدف ومقصود، وعندها تتعدد الأودية والشعاب، وكل يسلك واديًا يضل فيه، إلا من عصم الله بالبقاء على التوحيد.

ثالثًا: أن يدرك الداعية إلى الله أن سلوك الطريق القويم في الدعوة إلى عقيدة التوحيد يحقق له الهداية والتوفيق والسداد من الله جَلَّوَعَلَا كما قال سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الأنعام:٨٢].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أي: هؤلاء الذين أخلصوا العبادة لله وحده، ولم يشركوا به شيئًا، هم الآمنون يوم القيامة المهتدون في الدنيا والآخرة»(١).

رابعًا: أن يعلم الداعية إلى الله أن سلامة عقيدته تحفظه بإذن الله من شرور الدنيا والآخرة، فإن الله يدفع عنه كيد الكائدين من شياطين الإنس والجن، وأما من فسدت عقيدته فهو عرضة للآفات والبليات؛ قال تعالى: ﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ﴾ [الحج:٣٠].

قال ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فالإيمان بمنزلة السماء: محفوظة مرفوعة، ومن ترك الإيمان بمنزلة الساقط من السماء: عرضة للآفات والبليات، فإما أن تخطفه الطير فتقطعه أعضاء؛ كذلك المشرك إذا ترك الاعتصام بالإيمان تخطفه الشياطين من كل جانب، ومزقوه، وأذهبوا عليه دينه ودنياه»(٢).

خامسًا: أن يوقن الداعية إلى الله بأن تمسكه بعقيدة التوحيد والدعوة إليها

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٢/ ١٤٥).

(٢) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لابن سعدي (ص:٥٣٨).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

سبب عظيم لنصره وتأييده بالحق مهما كثر أهل الأهواء والبدع، فقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي مَنْصُورِيْنَ لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»(١).

ومن أمثلة تحقيق النصر والتأييد في الواقع القريب: نصر الله جَلَّوَعَلَا لدولة التوحيد حينما تعاهد الإمامان محمد بن سعود ومحمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُمَاٱللَّهُ على نشر عقيدة التوحيد في أرجاء الجزيرة العربية، فنصرهما الله على أهل الأهواء والبدع والخرافات، فعم التوحيد أرجاء الجزيرة إلى يومنا هذا.

ثانيا: الدعوة إلى بيان السُنّة والتحذير من البدعة:

المقصود بالسُنّة هنا الطريقة التي كان عليها رسول الله ﷺ وأصحابه.

أما البدعة فكما قال الإمام الشاطبي رَحِمَهُٱللَّهُ في تعريفه للبدعة بأنها «عبارة عن طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشريعة يقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية»(٢).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُٱللَّهُ: «البدعة هي الدين الذي لم يأمر الله به ورسوله، فمن دان دينًا لم يأمر الله ورسوله به فهو مبتدع بذلك، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى:٢١]»(٣).

---

(١) البخاري، برقم (٣٦٤٠)، ومسلم، برقم (١٩٢١).

(٢) الاعتصام، للشاطبي (١/ ٣٧).

(٣) لاستقامة، لابن تيمية (١/ ٥).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بيان الأدلة الشرعية بلزوم السنة والتحذير من البدعة:

١- قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ﴾ [المائدة:٣].

قال الإمام مالك بن أنس رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «من أحدث في هذه الأمة اليوم شيئا لم يكن عليه سلفها فقد زعم أن رسول الله ﷺ خان الرسالة؛ لأن الله تعالى قال في كتابه العزيز: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾» [المائدة:٣].

وهذه الآية أكبر نعم الله تعالى على هذه الأمة، حيث أكمل تعالى لهم دينهم، فلا يحتاجون إلى دين غيره، ولا إلى نبي غير نبيهم -صلوات الله وسلامه عليه-، ولهذا جعله الله تعالى خاتم الأنبياء، وبعثه إلى الإنس والجن، فلا حلال إلا ما أحله، ولا حرام إلا حرمه، ولا دين إلا ما شرعه، وكل شيء أخبر به فهو حق وصدق(١).

٢- قول النبي ﷺ: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ**» وفي رواية: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**»(٢).

قال الشيخ صالح الفوزان بعد أن ساق هذه الأحاديث: «فدل على أن كل محدث في الدين فهو بدعة. وكل بدعة ضلالة مردودة، ومعنى ذلك: أن البدع في العبادات والاعتقادات محرمة، ولكن التحريم يتفاوت بحسب نوعية البدعة: فمنها ما هو كفر صراح -كالطواف بالقبور تقربًا إلى أصحابها، وتقديم الذبائح والنذور

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٢/ ٨٩٢).

(٢) البخاري، برقم (٢٦٩٧)، ومسلم، برقم (١٧١٨).

لها، ودعاء أصحابها والاستغاثة بهم...، ومنها ما هو من وسائل الشرك كالبناء على القبور، والصلاة والدعاء عندها، ومنها ما هو فسق اعتقادي -كبدعة الخوارج... في أقوالهم واعتقاداتهم المخالفة للأدلة الشرعية-، ومنها ما هو معصية -كبدعة التبتل، والصيام قائما في الشمس، والخصاء بقصد قطع شهوة الجماع»[1].

٣- قول النبي ﷺ: «**عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»[2].

وكان ﷺ يقول في خطبه: «**أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»[3].

أبرز الدعائم التي تحقق للداعية إلى الله لزوم السنة والبعد عن البدع:

١- أن يستحضر الداعية إلى الله هذه الأدلة دومًا فإنها أكبر زاجر له ولغيره عن سلوك طريق البدعة، ولربما واجه من أصناف المدعوين من يلازم البدعة فتكون تلك الأدلة زادًا له لدعوته للسُنّة وترك البدعة.

٢- أن يعرف أهم الكتب التي تكلمت عن البدع وحذرت منها.

٣- أن يدرك أن البدع وإن كانت جميعها محرمة فإنها ليست على درجة واحدة وإنما تتفاوت، فمنها المكفرة ومنها غير ذلك.

---

(١) مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٢٣)، (ص:٣٥١).

(٢) تقدم تخريجه (ص:٣٩).

(٣) مسلم، برقم (٨٦٧).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أن يدرك الداعية إلى الله خطأ من يقسم البدعة إلى حسنة وسيئة؛ لأن الرسول ﷺ حكم على البدع كلها بأنها ضلالة. قال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله ﷺ: «كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ» من جوامع الكلم لا يخرج عنه شيء، وهو أصل عظيم من أصول الدين»[1].

(١) جامع العلوم والحكم، لابن رجب (ص:٩٨).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الركن الثالث: المدعو

تعريف المدعو:

هو كل مدرك مخاطب بدعوة الإسلام.

لأن الإسلام هو رسالة الله الخالدة بعث الله به محمدًا ﷺ إلى الناس جميعًا قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران:١٩]، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [النساء:١٧٤]، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سبأ:٢٨]، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:٢١]، وقال ﷺ: «**كَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً**»(١).

والأقرب أولى بالدعوة من الأبعد قال تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء:٢١٤]، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم:٦]، وقال ﷺ: «**كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**(٢)»(٣).

---

(١) البخاري، برقم (٣٣٥).

(٢) البخاري، برقم (٨٩٣).

(٣) انظر: أصناف المدعوين، حمود الرحيلي (ص:٤٩).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مراعاة أحوال المدعوين:

مفهوم مراعاة أحوال المدعوين:

ملاحظة الداعية إلى الله للفوارق الموجودة بين المخاطبين بالدعوة من حيث: الدين واللغة والزمان والمكان والقدرات العقلية والنفسية وغيرها، ومن ثم حسن التعامل معها لإيصال دعوة الإسلام.

الأدلة على أهمية مراعاة أحوال المدعوين:

أولًا: أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بعث الرسل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بألسنة أقوامهم:

فمما يدل على ضرورة مراعاة أحوال المدعوين وأهميتها في الدعوة إلى الله أن الله -جل شأنه- لم يرسل رسولًا إلا بلسان قومه.

قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكان من حكمته عَزَّوَجَلَّ أن أرسل كل رسول بلسان قومه، حتى يفقههم ويفهمهم ما بعث إليهم بصورة واضحة وبيان واضح، ولهذا قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ﴾ [إبراهيم:٤].

ثانيًا: أمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ نبيه ﷺ بالقيام بالدعوة بعدة طرق:

قال الشيخ صالح بن فوزان الفوزان: «على الدعاة أن يراعوا أحوال المدعوين؛ فالجاهل له معاملة في الدعوة، والعالم له معاملة، والمعاند له معاملة، قال تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

[النحل:١٢٥]؛ وذلك أن المدعو له حالات يعامل في كل حالة بما يناسبها:

الحالة الأولى: أن يكون جاهلًا بالحق، ولو بُين له لأخذ به، فهذا يدعى بالحكمة واللين واللطف والرأفة.

الحالة الثانية: مَنْ إذا بُين له الحق لم يسرع لقبوله والعمل به، بل يكون عنده كسل وفتور، فهذا يحتاج مع البيان إلى موعظة بأن يخوَّف ويبين له ثواب المطيعين وعقاب العاصين.

الحالة الثالثة: من إذا بُين له الحق لم يقبله وحاول رده بالشبهات، فهذا يجادل بالتي هي أحسن لكشف شبهاته وبيان خطئه. قال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى: «الناس ثلاثة أقسام: إما أن يعترف بالحق ويتبعه؛ فهذا صاحب الحكمة. وإما أن يعترف به لكن لا يعمل به؛ فهذا يوعظ حتى يعمل. وإما ألا يعترف به؛ فهذا يجادل بالتي هي أحسن؛ لأن الجدال فيه مظنة الإغضاب، فإذا كان بالتي هي أحسن حصلت منفعته بغاية الإمكان[1]»[2].

ثالثًا: إخبار النبي ﷺ دعاته عن وصف المدعوين والأمر بمراعاة الترتيب في الدعوة:

ومما يبين اهتمام النبي ﷺ بأحوال المدعوين أنه لما بعث معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى اليمن أخبره عن حال المدعوين، كما أمره بمراعاة الترتيب في الدعوة نظرًا إلى

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٢/ ٤٥).

(٢) مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٢٣)، (ص:٣٥١).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

حالهم؛ فعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن: «إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ، فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ وَاتَّقِ دَعْوَةَ المَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ»(١).

ويتضح من هذا الحديث أن النبي ﷺ أخبر معاذًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن حال من أرسله إليهم، يقول الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ مبينًا حكمة ذلك: «هي كالتوطئة للوصية؛ لتستجمع همته عليها، لكون أهل الكتاب أهل علم في الجملة، فلا تكون العناية في مخاطبتهم كمخاطبة الجهال من عبدة الأوثان»(٢).

أهمية مراعاة أحوال المدعوين للداعية إلى الله:

أولًا: أن طبيعة الأنفس البشرية مختلفة، وعلى أصناف وأنواع عدة، سواءٌ كان ذلك من حيث الدين أو اللغة، أو الثقافة والحضارة، أو الغنى والفقر، أو الرفعة والسؤدد، أو الظروف الزمانية والمكانية المحيطة بالمدعو أو غير ذلك، فإذا أراد الداعية إلى الله تجاهل ذلك فإنه يتجاهل أمرًا فطر الله عليه البشر.

ثانيًا: أن مراعاة الداعية إلى الله لأحوال المدعوين تؤدي إلى تحقيق الهدف

(١) البخاري، برقم (١٤٩٦) واللفظ له، ومسلم، برقم (٢٩).
(٢) فتح الباري، لابن حجر (٣/ ٣٥٨).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المنشود من دعوتهم، وهو إيصال الحق لهم، وإقامة الحجة عليهم.

ثالثًا: أن معرفة الداعية إلى الله بأحوال المدعوين تمكنه من تبصر أسباب تصرفاتهم وسلوكهم، ومعرفة الطريقة المناسبة لتوجيههم وإرشادهم، وبالتالي تجعله أكثر قدرة على التأثير فيهم.

أهم الدعائم التي ينبغي للداعية إلى الله إدراكها ليتحقق له مراعاة أحوال المدعوين:

أولًا: أن يتعرف الداعية إلى الله على حال المدعوين وتحت أي قسم يندرجون، فإن الجاهل بالحق له طريقة في الدعوة، والعالم به المتكاسل عنه له طريقة، والرادّ له والمعاند فيه له طريقة.

ثانيًا: على الداعية إلى الله أن يراعي الفوارق الدعوية بين المسلمين وغير المسلمين؛ فلكلٍّ طريقة في الدعوة تخالف الطريقة الأخرى؛ فالفرق بينهما شاسع، والبون واسع، من حيث المبدأ والمنتهى، ومن حيث الأسلوب والطريقة، وهذا يستلزم معرفة منهج القرآن الكريم في محاورة أهل الكتاب ومناقشة المشركين، والتأسي بسيرة النبي ﷺ في منهج دعوته لهؤلاء في جميع المناحي، ومن أهمها وأعظمها: إيقاف هؤلاء على حقيقة بطلان ما يعبدون من دون الله بالحجج القطعية والبراهين العقلية.

ثالثًا: أن يدرك الداعية إلى الله الفوارق بين دعوة الحكام والمحكومين، فعليه أن يكون حكيمًا في أمره وفعله وقوله، وأن يُنـزل الناس منازلهم، كلًا في موضعه

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ومنزلته التي أنزلهم الله إياها، وأن يأتي الناس بالأسلوب الذي يكون أدعى لقبول النصيحة ونجاح الدعوة.

فأسلوب الدعوة لإمام المسلمين يكون بالسمع والطاعة له، وإنزاله منزلته، ونصيحته سرًا بلين ورفق على ما يليق بمنزلته؛ لأن ذلك أدعى لقبول النصيحة وأحرى به في جمع قلوب الناس عليه، وعدم تنفيرهم منه، وعدم الخروج عليه قولًا أو فعلًا.

يدل على ذلك أدلة كثيرة بينها أهل السُنّة والجماعة في مؤلفاتهم، ومن ذلك ما جاء عن عبدالله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي ﷺ قال: «**مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الجَمَاعَةَ شِبْرًا فَمَاتَ، إِلَّا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً**»(١)، وقال ﷺ: «**مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْصَحَ لِسُلْطَانٍ بِأَمْرٍ، فَلَا يُبْدِ لَهُ عَلَانِيَةً، وَلَكِنْ لِيَأْخُذْ بِيَدِهِ، فَيَخْلُوَ بِهِ، فَإِنْ قَبِلَ مِنْهُ فَذَاكَ، وَإِلَّا كَانَ قَدْ أَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ لَهُ**»(٢).

وقال أئمة الدعوة رَحِمَهُمُ اللَّهُ: «وأما ما قد يقع من ولاة الأمر من المعاصي والمخالفات التي لا توجب الكفر والخروج من الإسلام فالواجب فيها: منا صحتهم على الوجه الشرعي برفق، واتباع ما كان عليه السلف الصالح من عدم التشنيع عليهم في المجالس ومجامع الناس»(٣).

وقال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ مبينًا مكانة الدولة السعودية

---

(١) البخاري، برقم (٧٠٥٤).

(٢) مسند أحمد، برقم (٣/ ٤٠٣)، وابن أبي عاصم في السنة، وصححه الألباني في تعليقه لها، (٢/ ٥٢١).

(٣) نصيحة مهمة في ثلاث قضايا، لأئمة الدعوة النجدية (ص:٣٧-٥٣).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

-حفظها الله- ناصحًا الدعاة بالتعاون معها على الخير الذي تقوم به، والتناصح بالأسلوب الحسن والمنهج القويم: «وهذه الدولة السعودية دولة مباركة، نصر الله بها الحق، ونصر بها الدين، وجمع بها الكلمة، وقضى بها على أسباب الفساد، وأمن الله بها البلاد، وحصل بها من النعم العظيمة ما لا يحصيه إلا الله، وليست معصومة، وليست كاملة، كلّ فيه نقص، فالواجب التعاون معها على إكمال النقص، وعلى إزالة النقص، وعلى سد الخلل، بالتناصح والتواصي بالحق والمكاتبة الصالحة، والزيارة الصالحة، لا بنشر الشر والكذب، ولا بنقل ما يقال من الباطل؛... هكذا كان طريق المؤمنين، وهكذا حكم الإسلام، وهكذا طريق من يريد الخير لهذه الأمة»(١).

رابعًا: مراعاة الداعية إلى الله للفوارق بين المدعوين بالنسبة للحالات النفسية والقدرات البشرية والسن والشرف والمكانة، فعن مالك بن الحويرث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: أتينا إلى النبي ﷺ ونحن شبيبة متقاربون، فأقمنا عنده عشرين يومًا وليلة، فكان رسول الله ﷺ رحيمًا رفيقًا؛ فلما ظن أنا قد اشتهينا أهلنا سألنا عمن تركنا بعدنا فأخبرناه، قال: «**ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِيكُمْ، فَأَقِيمُوا فِيهِمْ، وَعَلِّمُوهُمْ**»(٢).

وأما مراعاة القدرات البشرية فلا أدل على ذلك من مراعاته ﷺ حال المصلين في صلاة الجماعة؛ فقد ورد عنه ﷺ أنه غضب لما علم بمن يطيل الصلاة على الناس، وقال: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ مِنْكُمْ مُنَفِّرِينَ، فَمَنْ أَمَّ النَّاسَ فَلْيَتَجَوَّزْ، فَإِنَّ خَلْفَهُ الضَّعِيفَ وَالكَبِيرَ وَذَا الحَاجَةِ**»(٣).

---

(١) مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٥٠)، (ص:١٢).

(٢) البخاري، برقم (٦٨٥).

(٣) البخاري، برقم (٧٠٤).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وفي مجال مراعاة فوارق السن بين المدعوين: حديث مالك بن الحويرث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه لما أتى النبي ﷺ رجلان يريدان السفر، قال النبي ﷺ: «إِذَا أَنْتُمَا خَرَجْتُمَا، فَأَذِّنَا، ثُمَّ أَقِيمَا، ثُمَّ لِيَؤُمَّكُمَا أَكْبَرُكُمَا»(١).

وأما في مجال اعتبار المكانة والشرف في الفوارق الدعوية: فإن النبي ﷺ يوم فتح مكة قال له أبو سفيان: يا رسول الله، أُبيحت خضراء قريش، لا قريش بعد اليوم. فقال النبي ﷺ: «مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ»(٢).

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ معلقًا على هذا الحديث: «وفيه تأليف لأبي سفيان، وإظهار لشرفه»(٣).

حقوق المدعو(٤):

المدعو له حقوق وواجبات فينبغي على الدعاة إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مراعاتهم من أهمها:

١- أن يجتهد معه قدر الاستطاعة.

٢- اختيار أنسب الوسائل والأساليب الملائمة في دعوته.

٣- الشفقة بالمدعو والحرص عليه.

٤- العفو عنه والإحسان إليه.

---

(١) البخاري، برقم (٦٣٠).

(٢) مسلم، برقم (١٧٨٠).

(٣) شرح مسلم، للنووي (١٢/ ١٧٩).

(٤) أصناف المدعوين، حمود الرحيلي.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٥- عدم الاستهانة بأي إنسان.

٦- عدم مواجهته بالزجر أمام الناس.

ما يجب على المدعو [١]:

١- الانقياد إلى الحق والخير إذا تبين له.

٢- طلب العلم الشرعي.

٣- العمل على تطبيق منهج الإسلام.

٤- القيام بالدعوة إلى الله تعالى.

٥- السؤال والاستيضاح عما يشكل عليه.

أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم:

ستتحدث عن الأصناف التالية:

١- المسلمون.

٢- أهل الكتاب.

٣- المشركون.

٤- الملحدون.

وفيما يأتي تفصيل ذلك:

(١) المرجع السابق.

١- المسلمون:

دعوة المسلمين الذين انقادوا للحق[١]:

وهو كما تقدم يكفي في حقهم أن يرشدوا للحق والهدى ومن الأساليب في ذلك ما يأتي:

١- أسلوب التعليم والتثقيف وتفقيههم بأمور دينهم ودنياهم؛ وذلك بتعليمهم الكتاب والسُنّة على فهم السلف الصالح.

٢- تذكيرهم بما أوجب الله عليهم من واجبات وما فرض عليهم من فرائض الإسلام مع الإخلاص لله والموافقة لما جاء به الرسول ﷺ ونبذ البدع والخرافات قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف:١١٠].

٣- تنبيههم على الحرص على دعوة الناس لهذا الدين بعد التفقه والتعلم كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران:١٨٧].

٤- التأكيد على أن هذا الدين وحده هو واجب الإتباع دون سواه كما قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [سبأ:٢٨].

٥- وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ﴾﴿ ﴾[آل عمران:١٩].

---

(١) انظر في ذلك: أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم، حمود الرحيلي، (ص:٦٤) وما بعدها.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٦- حث الناس على فعل الخير والتواصي فيما بينهم بالحق والتعاون على البر والتقوى كما قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة:٢].

٧- استغلال سلامة الفطرة عندهم والانقياد للحق وتوجيه ذلك إلى الحق والصواب.

٨- دعوتهم إلى الثبات على الاستقامة فإن ذلك يعطيهم الخير العظيم كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت:٣٠].

دعوة المسلمين (العصاة):

يدعى هؤلاء بالترغيب في الطاعة والترهيب من المعصية وذلك على النحو التالي[1]:

المسلك الأول: **الترغيب** وهو قسمان:

القسم الأول: الترغيب في جنس الطاعات. وهذا القسم له أنواع متعددة منها:

١- الترغيب بالوعد بالخير العاجل في الدنيا؛ ومن ذلك:

أ- الترغيب بالوعد بالحياة الطيبة، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل:٩٧].

---

(١) انظر: دعوة عصاة المسلمين إلى الله تعالى في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن وهف القحطاني، (ص:١٥) وما بعدها.

ب- الترغيب بالوعد بالإمداد بأنواع الخيرات والزيادة مع الشكر، قال تعالى: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾ [نوح:١٠-١٢].

جـ- الترغيب بالوعد بأنواع التأييد والنصر والتوفيق ومن ذلك الوعد بالكفاية، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق:٣]. والوعد بالنصر قال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم:٤٧]، والوعد بالعزة والعلو: قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ﴾ [المنافقون:٨]، وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٩٣]، والوعد بمحبة الله للمؤمنين: وهذا باب واسع قد ذكر الله فيه أنه يحب التوابين، والمتطهرين، والمتقين، والمحسنين، والصابرين، والمتوكلين، والمقسطين (انظر: سورة البقرة، آية ٢٢٢، وآل عمران، الآيات ٧٦، ١١٦، ١٣٤، ١٤٨، ١٥٩، والمائدة، آية ٤٢، والتوبة، الآيتان (٤و٧).

والوعد بالأمن والهداية والتوفيق قال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام:٨٢]، وقال سبحانه: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الحج:٥٤].

٢- الترغيب بذكر سُنّة الله تعالى فيمن مضى من عباده المخلصين:

من حكمة القول مع عصاة المؤمنين في دعوتهم إلى الله عَزَّوَجَلَّ أن يبين لهم أن سُنّة الله لا تتخلف في نصرة عباده المؤمنين ورحمته بهم، وقبول توبتهم حين يتجهون إليه -سبحانه- بإظهار كمال العبودية له، والافتقار إليه، وهم في حالة من الكرب أو الضيق أو الحاجة، فتدركهم رحمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف:٥٦]، وقال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر:٥٣].

واستجاب الله تعالى لنبيه أيوب بعد أن بلغ به الضر منتهاه: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء:٨٣-٨٤].

واستجاب الله تعالى ليونس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧-٨٨]، وقال سبحانه: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الصافات:١٤٣-١٤٤].

٣- الترغيب بالوعد بالخير الآجل الأعظم في الآخرة:

جاء في كتاب الله تعالى وفي سُنّة رسوله ﷺ الوعد بالخير الآجل، والنعيم المقيم والرضوان، والأمن التام، والرحمة والمغفرة وتكفير السيئات، كل ذلك لمن تحقق فيه شرط الإيمان والعمل الصالح، وهذا باب واسع يزخر به الكتاب والسُنّة. (انظر: الأنعام، آية ٨٢، وطه، آية (٨٠-٨٢)، والفرقان، آية ٧٠، والبينة، الآيتان ٧و٨).

٤- الترغيب بذكر أحوال المؤمنين في الجنة وما أعد الله لهم:

وهذا النوع من الترغيب يزخر به كتاب الله تعالى وسُنّة رسوله ﷺ، ولا يحضر

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ما أعد الله لعباده المؤمنين في جنات النعيم من النعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول، ولهذا قال النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه تَبَارَكَ وَتَعَالَى: «قَالَ اللهُ: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة:١٧]»(١).

ومن أمثلة النعيم: رضوان الله -تعالى- والنظر إلى وجه الله الكريم، وأنهار الجنة ومساكن أهلها وزوجاتهم وطعامهم وشرابهم وغير ذلك كثير(٢).

القسم الثاني: الترغيب في أنواع الطاعات:

وهذا القسم مهم جدًّا والناس يحتاجون إليه؛ ليشمروا عن ساعد الجد في عمل أنواع الطاعات، فينبغي للداعية إلى الله أن لا يُغفل هذا الجانب، ويهتم بترغيب الناس بالأقوال الحكيمة في أنواع البر والإحسان، وجميع أنواع الطاعات: كحثهم على تحقيق كلمة الإخلاص، والصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، وإصلاح ذات البين، وإطعام الطعام، وإفشاء السلام، والصلاة بالليل والناس نيام، وغير ذلك.

المسلك الثاني: الترهيب:

وهو على قسمين:

القسم الأول: الترهيب بذكر الوعيد بالعذاب والعقوبات على جنس المعاصي والذنوب:

---

(١) البخاري، برقم (٣٢٤٤). ومسلم، برقم (٢٨٢٥).

(٢) انظر في ذلك: هادي الأرواح إلى صفات الأفراح

وهذا له أنواع عدة ومن ذلك ما يأتي:

١- الترهيب بذكر الوعيد بالحرمان من الخير العاجل، أو الأخذ بالعذاب العاجل:

الإصرار على المعاصي والسيئات من أسباب الابتلاء بالفقر، والضيق في العيش والإصابة بالأمراض والأسقام، والحرمان من الخيرات العاجلة والآجلة، وهي أعظم الأسباب في إهلاك الأمم والجماعات والأفراد بالدمار والهلاك، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى:٣٠]، وهو سبحانه يعفو عن كثير من السيئات فلا يجازي عليها ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [فاطر:٤٥]، وكل ما يحدث في الأرض من المصائب، وقلة الثمار، وقحط الأمطار، فإنما هو من عقوبة بعض ما عمل الناس من الذنوب(١).

وقال تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم:٤١].

وقال سبحانه: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:٦٣] وقال سبحانه: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ [الأنعام:٦٥].

٢- الترهيب بالوعيد بالعذاب الآجل في الآخرة:

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٢/ ٥٧٤) و(٤/ ١١٧).

نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [النساء:٤١]، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾ [النساء:١١٥].

القسم الثاني: الترهيب بذكر الوعيد بالعذاب والعقوبات على أنواع الذنوب وآحادها:

فينبغي للداعية إلى الله أن يهتم بهذا القسم، ويذكر ما ورد في الكتاب والسُنّة من الوعيد بالعذاب والعقوبات والنقم على آحاد الذنوب وأنواعها كالتهاون ببعض أمور العقيدة الإسلامية، وكالتهاون بالصلاة والزكاة والصوم والحج عند الاستطاعة، والتحذير من عقوق الوالدين، وقطيعة الأرحام، والتهاجر بين المسلمين، والشحناء وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، والزنا واللواط، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم والسرقة وشرب الخمر ولعب الميسر والقذف والغيبة والنميمة وغير ذلك. وكذلك الترهيب بذكر العقوبات الشرعية كالحدود والتعزيرات إذ قرر الإسلام العقوبات الشرعية على ارتكاب الجرائم، ليستوفي المجرم جزاءه، ويُطهَّر من هذه الجريمة، ويرتدع أمثاله من ناحية أخرى، وهذا من أبلغ الحكم، ومن أعدل الأحكام، ومن أعظم وسائل حفظ الأمن والاستقرار، وبهذا حفظ الإسلام لأهله: الدين، والنفس، والنسب، والعرض، والعقل، والمال.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٢- أهل الكتاب:

أهم أساليب دعوة أهل الكتاب[١]:

الإسلام دين الله تعالى إلى الناس جميعًا، وليس مقصورًا على العرب وحدهم، قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف:١٥٨]، وقال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام:٩٠]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب:٤٠]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧]. وجاء في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ: «...**كَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً**»[٢].

وفي خصوص دعوة اليهود والنصارى:

قال تعالى: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [آل عمران:٢٠]. وروى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ، وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ**»[٣].

---

(١) انظر: أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم، حمود الرحيلي (ص:٨٠).

(٢) البخاري، برقم (٣٣٥).

(٣) مسلم، برقم (١٥٣).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ومن أساليب دعوة أهل الكتاب للإسلام ما يأتي:

أولًا: إقامة الأدلة لأهل الكتاب على صدق النبي ﷺ:

أ- تنبيههم إلى ما يجدونه في كتبهم من صفة النبي ﷺ، وأن علماءهم يعرفون أمره معرفة تامة. كما يعرف أحدهم ولده قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف:١٥٦-١٥٧]. وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:١٤٦].

ب- استفتاح اليهود بالرسول ﷺ، ومن الأدلة التي أقامها القرآن الكريم على بني إسرائيل وخاصة اليهود منهم من أجل دخولهم في الإسلام، وإيمانهم بمحمد ﷺ، وإخبارهم أن محمدًا ﷺ هو الذي كانوا يستفتحون به على المشركين قبل بعثت. جاء ذلك في كثير من الآيات البينات منها قول الله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة:٨٩].

جـ- تنبيه أهل الكتاب إلى أن محمدًا ﷺ، الذي يدعوهم إلى الإسلام إنما هو الذي بشر به آخر أنبياء بني إسرائيل، عيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ، جاء ذلك واضحًا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وصريحًا في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الصف:٦].

د- إخبارهم بأن القرآن الكريم وهو المعجزة العظمى لمحمد ﷺ مصدق لما سبقه من الكتب السماوية، ومهيمن عليها.

قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [المائدة:٤٨].

ثانيًا: دعوتهم وإرشادهم إلى أن دعوة محمد ﷺ، موافقة في الأصول إلى ما دعا إليه الأنبياء السابقين:

قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ [الشورى:١٣].

وفي الحديث الصحيح: «**أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى، الْأَنْبِيَاءُ أَبْنَاءُ عَلَّاتٍ، وَلَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَ عِيسَى نَبِيٌّ**»(١)، فرسالة جميع الأنبياء متطابقة في أصولها وأهدافها وغاياتها

(١) البخاري، برقم (٣٤٤٢)، ومسلم، برقم (٢٣٦٥)، واللفظ له.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كما قال: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل:٣٦].

ثالثًا: دعوتهم إلى كلمة سواء:

ومن الأساليب التي وجهها القرآن الكريم لأهل الكتاب، الدعوة إلى كلمة عادلة مستقيمة، قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:٦٤].

رابعًا: قطع الحجة عليهم بإرسال خاتم الرسل وإظهاره ما يكتمون من دينهم:

قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ۗ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾[المائدة:١٥]، وقال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة:١٩].

خامسًا: أسلوب الترغيب:

جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ [المائدة:٦٥-٦٦].

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

سادسًا: تذكير بني إسرائيل بنعم الله عليهم:

قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٤٤﴾ وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَأَنَّهُمۡ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة:٤٠-٤٨].

سابعًا: أسلوب التهديد والإنذار بالعقوبة:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبۡلِ أَن نَّطۡمِسَ وُجُوهٗا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ أَوۡ نَلۡعَنَهُمۡ كَمَا لَعَنَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلسَّبۡتِۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولًا﴾ [النساء:٤٧].

ثامنًا: إخبارهم بأن القرآن الكريم يقص عليهم الحق في خلافاتهم:

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَكۡثَرَ ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ﴾ [النمل:٧٦].

تاسعًا: إخبارهم بأن اختلافهم في الدين سببه البغي والحسد:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴾ [آل عمران:١٩]. وقال تعالى: ﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى لَّقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ ﴾ [الشورى:١٤].

عاشرًا: مجادلتهم بالتي هي أحسن:

قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾[العنكبوت:٤٦].

الحادي عشر: بيان الأدلة على وقوع التحريف في التوراة والإنجيل:

وهذا النوع من التحريف له أربع صور وهي:

١- **تحريف التبديل:** وهو وضع كلمة مكان كلمة أو جملة مكان جملة.

٢- **تحريف بالزيادة:** ويكون بزيادة كلمة أو جملة.

٣- **تحريف بالنقص:** وهو إسقاط كلمة، أو جملة.

٤- **تحريف المعنى:** تبقى الكلمة أو الجملة كما هي، ولكنهم يجعلونها محتملة لمعنيين، ثم يختارون الذي يتفق مع أهوائهم وأغراضهم.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٣-المشركون:

ومن أساليب دعوتهم إلى الإسلام (١):

١- التنديد بما يتخذه الناس آلهة من دون الله، وإظهار حالها من العجز الشنيع والفقر البالغ والغفلة عمن يدعوها ويفزع إليها.

مثل قوله تعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ﴾ [الأعراف:١٩١-١٩٢].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٧-١٩٨].

وقوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [النحل:٧٣].

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ﴾ [الحج:٧٣].

٢- الاحتجاج بتفرد الله بالربوبية وكمال التصرف والنفع والضر وغيرها من خصائص الربوبية على استحقاقه وحده للعبادة ووجوب إفراده بالألوهية.

مثل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ

(١) انظر: هذه الأساليب في بحث علمي بعنوان: توحيد الألوهية، لعواد المعتق في مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٧٦)، (ص:٩٨) وما بعدها.

لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [الحج:٧٣].

٣- التشنيع بحال العابدين لهذه الآلهة الباطلة حيث رضوا لأنفسهم أن يعبدوا ما لا يسمع ولا يبصر ولا يملك لهم ضرا ولا نفعًا ولا تغني شفاعتهم عنهم شيئًا:

وذلك مثل قوله تعالى: -على لسان إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في خطابه لقومه- ﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [الأنبياء:٦٦-٦٧].

وقوله تعالى: ﴿قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنبياء:٥٤].

وقوله تعالى:﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴾ [الأحقاف:٥].

٤- بيان عاقبة المشركين الذين يعبدون غير الله، وبيان مآلهم مع من عبدوهم حيث تتبرأ تلك المعبودات من عابديها في أحرج المواقف.

مثل قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة:١٦٥-١٦٧].

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر:١٤].

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾ [الأحقاف:٥-٦].

٥- الاحتجاج بتفرد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بكمال الأسماء والصفات وانتفاء ذلك عن آلهة المشركين:

مثل قوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة:١٦٣]، وقوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة:٢]، وقوله تعالى عن خليله إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أنه قال لأبيه: ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا﴾ [مريم:٤٢]، وقوله تعالى: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم:٦٥]. وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ﴾ [الأعراف:١٤٨].

٦- الوعد لمن وحده والوعيد لمن أشرك به.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١٤٨].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة:٧٢].

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقال تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر:٦٥].

٧- رده سبحانه على المشركين في اتخاذهم الوسائط بينهم وبينه بأن الشفاعة ملك له سبحانه لا تطلب إلا منه ولا يشفع أحد عنده إلا بإذنه بعد رضاه عن المشفوع له.

كما في قوله تعالى: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الزمر:٤٣-٤٤].

وقوله تعالى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ﴾ [النجم:٢٦].

٨- ضرب الأمثلة التي تبين أن المشرك مهما عمل فلن ينال رضا معبوده؛ ذلك أن إرضاءه أحد الشريكين مسخط للآخر، على عكس الموحد.

كما قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر:٢٩].

٩- دعوتهم إلى التجرد من التقاليد الموروثة:

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ [لقمان:٢١].

١٠- استعمال الحكمة في دعوتهم:

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام:١٠٨].

٤- الملحدون:

الإلحاد لغة: الميل والعدول عن الشيء(١).

واصطلاحًا: الإلحاد في العصر الحديث هو إنكار وجود الله تعالى أصلًا، أو إنكار النبوات، أو إنكار اليوم الآخر.

وليعلم الداعية أن هناك نزرًا بين الناس من الطبائعيين والماديين ينكرون وجود الله تعالى وقد حكى الله مقولتهم ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ [الجاثية:٢٤]، فيلزم الداعية إلى الله معرفة أساليب دعوة الملحدين إلى الإسلام، وإن كان الأمر في حقيقته لا يحتاج إلى ذلك؛ لأن كل ما في الكون دليل على وجوده كما قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال بعض العارفين: كيف أطلب الدليل على من هو دليل على كل شيء، فأي دليل طلبته عليه فوجوده أظهر منه، ولهذا قالت الرسل لقومهم: ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ﴾»(٢).

ومن تلك الأساليب ما يأتي(٣):

---

(١) لسان العرب، لابن منظور (٣/ ٣٨٨).

(٢) الفوائد، لابن القيم (ص:٢٩).

(٣) انظر: أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم، لحمود الرحيلي (ص:١٣٧) وما بعدها، والمباحث الدعوية، حامد الحجيلي (ص:١٨٢) وما بعدها.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١- توجيه الله تعالى الأنظار إلى ما في هذا الكون من مخلوقات عجيبة تبهر العقول.

فهذه المخلوقات العظيمة التي خلقها الله جَلَّوَعَلَا تدل دلالة واضحة على كمال قدرته، وعظيم تدبيره، وإتقان صنعه، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة:١٦٤].

وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [الغاشية:١٧-٢٠].

قال سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معرض استدلاله على وجود الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وأنه الخالق: «وكل إنسان ذي فطرة سليمة يعترف بذلك ومجبول على الإقرار به، لما يشاهده في نفسه من خلقه على هذه الصورة الجميلة السوية المعتدلة الكاملة الشكل والوظيفة، وعجائب الإبداع في خلقه أضخم من إدراكه، ثم ما يشاهد من الحدوث والخلق والتسخير في مخلوقات الله الأخرى كالسموات بما هي عليه من ارتفاع على غير عمد نراها، وما فيها من الكواكب الكبار والصغار النيرة من السيارة وغير السيارة ومن الثوابت، ودورانها في الفلك العظيم في كل يوم وليلة، كما أن لها في نفسها سيرًا يخصها، وكالبحار المكتنفة للأرض من كل جانب، والجبال الموضوعة فيها لتقر وتسكن مع اختلاف أشكالها

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وألوانها، وكالأنهار السارحة من قطر إلى قطر للمنافع، وما ذرأ الله في الأرض من الحيوانات المتنوعة، والنبات المختلفة الطعوم والروائح والأشكال والألوان مع اتحاد طبيعة التربة والماء؛ وكذلك اختلاف الليل والنهار والشمس والقمر وتعاقبها بنظام لا يختلف ولا يتبدل، كل ذلك دليل على وجود الله العلي القدير وقدرته العظيمة وحكمته ورحمته بخلقه ولطفه بهم وإحسانه إليهم وبره بهم»[1].

٢- إخبار الله تعالى بوجوده وعن ربوبيته للخلق أجمعين:

ومن الأدلة على ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾ [يونس:٣]، وقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الزمر:٢٦٢].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ﴾ [الأعراف:١٧٢].

٣- إحياء العباد بعد موتهم:

فمن الأدلة الدالة على وجود الله وأنه الخالق الرازق إحياء الله العباد بعد موتهم. قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة:٢٨]، هذا استدلال قاطع على أن الإيمان بالله تعالى أمر مستقر في الفطر والعقول، وأنه لا عذر لأحد في الكفر به ألبتة، فذكر تعالى أربعة أمور؛ ثلاثة منها مشهودة في هذا العالم،

(١) مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٥٨)، (ص:٢٧).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والرابع منتظر موعود به وعد الحق:

أ- كونهم كانوا أمواتًا لا أرواح فيهم، بل نطفًا وعلقًا ومضغة مواتًا لا حياة فيها.

ب- أنه تعالى أحياهم بعد هذه الإماتة.

جـ- أنه تعالى يميتهم بعد هذه الحياة.

د- أنه يحييهم بعد هذه الإماتة فيرجعون إليه.

فما بال العاقل يشهد الثلاثة الأطوار الأول ويكذب بالرابع؟، وهل الرابع إلا طور من أطوار التخليق؟، فالذي أحياكم بعد أن كنتم مواتًا، ثم أماتكم بعد أن أحياكم، ما الذي يعجزه عن إحيائكم بعد ما يميتكم؟، وهل إنكاركم ذلك إلا كفر مجرد بالله تعالى؟، فكيف يقع منكم بعدما شاهدتموه؟، ففي ضمن هذه الآية الاستدلال على وجود الخالق وصفاته وأفعاله على المعاد»[1].

٤- أدلة الفطرة.

قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ﴾ [الروم:٣٠].

وقال النبي ﷺ: «**مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ**»[2].

---

(١) بدائع الفوائد، لابن القيم (٤/ ١١٦).

(٢) البخاري، برقم (١٣٥٨)، ومسلم، برقم (٢٦٥٨).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقد مثل شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ للفطرة مع الحق فقال: «ومثل الفطرة مع الحق مثل ضوء العين مع الشمس وكل ذي عين لو ترك بغير حجاب رأى الشمس والاعتقادات الباطلة العارضة -من تهويد وتنصر وتمجس- مثل حجاب يحول بين البصر ورؤية الشمس؛ وكذلك كل ذي حس سليم يحب الحلو إلا أن يعرض في طبيعته فساد يحرفه حتى يجعل الحلو من فمه مرًا، ولو خلي المولود من غير معارض ومن غير مغير لما كان إلا مسلمًا ولم يعدل عن ذلك إلى غيره، كما أنه يولد على محبة ما يلائم بدنه من ارتضاع اللبن حتى يصرفه عنه صارف، ومن ثم شبهت الفطرة باللبن، فهي تستلزم معرفة الله ومحبته وتوحيده»[1].

٥- الأدلة العقلية:

ومن هذه الأدلة ما يأتي:

أ- **التقسيم العقلي**: وهو أن هذه المخلوقات إما أن توجد بنفسها صدفة كما يقولون من غير محدِث ولا خالق خلقها!، وهذا محال تجزم العقول ببطلانه ضرورة، وإما أن تكون هذه المخلوقات هي الخالقة لنفسها، وهذا محال -أيضًا- بضرورة العقل؛ لأن الشيء قبل وجوده معدوم، فكيف يكون خالقًا؟!.

فإذا بطل هذا القسمان عقلًا وفطرةً، وبان استحالتهما تعين القسم الثالث، وهو أن هذه المخلوقات بأجمعها لابُدّ لها من خالق وهو الله جل في علاه كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٤/ ٢٤٧).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وَٱلْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴾ [الطور: ٣٥-٣٦][1].

أن الصدفة العمياء لا تملك حياة: فمثل من يقول أو يعتقد أن هذا النظام والإبداع والإتقان وجد بطريق الصدفة لا غير، كمثل من وضع حروف الهجاء: أ، ب، ت،... في صندوق، ثم جعل يحركه طمعًا منه أن تتألف هذه الحروف من تلقاء نفسها نصًا أدبيًا بديعًا.

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية (٣/ ١١٣)، والفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم (١/ ٦٦).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner